
اجاثا كريستي
الجريمة تدق الباب



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. وروايتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الجريمة تدق الباب
Miss Marple's Final Cases

جلس ضيوف الآنسة «ماربل» يتسامرون، ودار الحديث حول القضايا الجنائية الغامضة التي حيّرت البوليس، وهل يجدي في كشف غموضها الأسلوب البوليسي وحده أم يجب الاعتماد أيضًا على سعة الخيال والمواهب الذاتية في التحليل والاستنتاج والخبرة بالطباع البشرية؟ وفجأة قدم أحد الضيوف اقتراحًا طريفًا وهو أن تعقد ندوة أسبوعية يتقدم كل عضو فيها بقضية يعرفها جيدًا ويعرف حلها؛ حيث يقوم العضو بطرح القضية ويترك فرصة لبقية الأعضاء للتفكير في حلها، وتتوالى الاستنتاجات ثم يطرح في النهاية الحل الصحيح لهذه القضية الغامضة، وبعد الموافقة على هذا الاقتراح بدأت تعقد ندوة الجرائم أسبوعيًّا؛ لذا ندعوك - عزيزي القارئ - إلى الانضمام إلى هذه الندوة ومشاركة الآنسة «ماربل» في حل هذه القضايا الغامضة.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338175-5



الجريمة تدق الباب

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الجريمة تدق الباب

(20)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Miss Marple's Final Cases

and

Two Other Stories

(1979)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

ندوة الجرائم

أهم الشخصيات :

– الآنسة "**جين ماربل**" : سيدة مُسِنَّة ذات خبرة وحنكة في تحليل الأحداث والوقائع.

– السيد "**ريموند ويست**" : شاب صحفي. ابن أخ الآنسة "**ماربل**" .

– الفنانة "**جويس لامبريير**" : رسامة مشهورة. صديقة السيد "**ريموند**" .

– السيد "**هنري كليترنج**" : مدير بوليس أسبق في "**اسكتلنديارد**" .

– الدكتور "**بندار**" : القس العجوز.

– السيد "**باتريك**" : المحامي المعروف.

– السيد "**جونز**" : مندوب متجول لأحد مصانع الأدوية.

– السيدة "**جونز**" زوجته. امرأة ثرية. تكبره بخمسة أعوام.

– السيدة "**جلاديس لينش**" : عاملة.

ندوة الجرائم

جلس الضيوف في القاعة الأنيقة يتسامرون بشتى الأحاديث من كثب من الآنسة "**ماربل**" .. السيدة المسنة ذات الوجه السمح التي كانت تتابع أحاديثهم متفكهة، وهي منهمكة في شغل الإبرة بدقة يحسدها عليها من هن أصغر منها سنًّا..

كان الضيوف هم "**ريموند ويست**" ابن أخيها الصحفي الشاب، وصديقته "**جويس**" الفنانة الحسناء المشهورة والسيد "**هنري**" مدير البوليس الأسبق، والدكتور "**بندار**" القس العجوز، و"**باتريك**" المحامي المعروف..

وكان الحديث يدور حول القضايا الجنائية الغامضة التي حيرت البوليس، وهل يجدي في كشف غوامضها الأسلوب البوليسي وحده أم لابد من الاعتماد أيضًا على الأساليب الحديثة مثل علم النفس وسعة الخيال والمواهب الذاتية في التحليل والاستنتاج والخبرة بالطباع البشرية؟ إلى غير ذلك من العناصر التي يستعان بها في العصر الحديث.. وفي النهاية فاجأتهم "**جويس**" باقتراحها الطريف قائلة:

– ما رأيكم ونحن نمثل مجموعة متكاملة أن نشكل ندوة لنا نسميها باسم هذه الليلة، أي "ندوة الثلاثاء" .. وإني أقترح أن تعقد هذه الندوة أسبوعيا، على أن يتقدم كل عضو فيها بقضية غامضة يعرفها ويعرف حلها بالتأكيد.. وعندما لقيت هذه الفكرة موافقتهم بالإجماع قالت "**جويس**" :

– من يكون البادئ الآن؟ فقال الدكتور "**بندار**" القس:

– لن نجد أفضل من السيد "**هنري**" الذي كان شخصية بارزة في بوليس "**اسكتلنديارد**" .. فابتسم مدير البوليس السري الأسبق مغلوبا على أمره، وبدأ يقول:

– هناك تلك القضية التي ربما قرأتم عنها في الصحف منذ عام مضى.. ووقائع

هذه القضية غاية في البساطة.. فأبطالها ثلاثة أشخاص جلسوا حول مائدة العشاء الذي كان مؤلفا من جراد البحر المعلب .. وفي أثناء الليل أصيب الثلاثة بنوبة مفاجئة، واسْتُدْعي الطبيب لإسعافهم.. فتماثل اثنان منهم للشفاء، وتوفي الثالث..

وقد اعتبرت الوفاة نتيجة تسمم غذائي، وحررت شهادة الوفاة بهذا المضمون، وتم دفن الضحية في النهاية.. ولكن الأمور لم تقف عند هذا الحد.. وهنا أومأت الآنسة "**ماربل**" برأسها قائلة:

– كانت هناك أقاويل بالتأكيد.. فإن الشائعات تقترن عادة بمثل هذه القضايا..

– صحيح.. والآن سأصف لكم أبطال المأساة.. سوف أسمي الزوج باسم السيد "**جونز**"، وزوجته باسم السيدة "**جونز**"، ومرافقة الزوجة باسم الآنسة "**كلارك**".. كان "**جونز**" مندوبا متجولا لأحد مصانع الأدوية.. وكان رجلا وسيما في نحو الأربعين من عمره، وزوجته امرأة عادية تكبره بخمسة أعوام... وكانت مرافقة الزوجة في الستين من عمرها، ولكنها كانت امرأة قوية البنية بشّة حلوة اللسان..

المهم أن تعقيدات الموقف بدأت بصورة غريبة.. فـ "**جونز**" أمضى الليلة السابقة للحادث في أحد فنادق مدينة "**برمنجهام**".. وتصادف أن الخادمة المشرفة على حجرته قامت بعد سفره بتغيير النشافة الموجودة فوق مكتب صغير بالحجرة وهي تتسلى بقراءة رسالة حررها "**جونز**" قبل سفره، وبقيت بعض عباراتها مطبوعة في النشافة مستعينة في هذا بمرآة.. وبعد أيام نشرت الصحف حادث وفاة السيدة "**جونز**" نتيجة لتناول جراد البحر المعلب، فنقلت الخادمة إلى زملائها الكلمات التي فكت رموزها في النشافة، وكانت بهذا النص: (اعتمادي الكامل على زوجتي.. عندما تموت فإنني سوف.. مئات وآلاف..).

ولعلكم تذكرون أنه كانت هناك منذ عهد قريب قضية لزوجة سممها زوجها.

وسرعان ما التهب خيال الخادمة حتى اعتقدت من قراءة كلمات الرسالة أن السيد "**جونز**" دبر قتل زوجته لكي يرث مئات وألوف الجنيهات.. وتصادف في الوقت نفسه أن إحدى خادمات الفندق كان لها أقارب يقيمون في البلدة الصغيرة التي تقيم فيها أسرة "**جونز**".. فكتبت إليهم الخادمة بما عرفته من زميلتها، وردوا عليها برسالة تبين منها أن السيد "**جونز**" كان يتودد إلى ابنة طبيب البلدة، وهي فتاة حسناء في الثالثة والثلاثين من عمرها.. وسرعان ما انتشرت الشائعات.. وأخذت العرائض تنهال على وزارة الداخلية والرسائل الغفل من الإمضاء تتوارد على إدارة بوليس "**اسكتلنديارد**"، وكلها تتهم السيد "**جونز**" بقتل زوجته.. ومع أن دوائر البوليس اعتبرت هذا كله من قبيل الشائعات التي تكثر عادة في أمثال هذه الدوائر دون أن تستند إلى أساس ثابت، إلا أنه صدر الأمر باستخراج الجثة وتشريحها.. ومن العجيب أن النتيجة جاءت عكس توقعات الدوائر الرسمية، فقد تبين أن الوفاة حدثت نتيجة التسمم بمادة الزرنيخ.. وكان على "**اسكتلنديارد**" والبوليس المحلي المختص إثبات كيف دُس السم للزوجة، ومن هو الفاعل.

وطبيعي أن تتجه الشبهة إلى الزوج.. فقد استفاد من موت زوجته، إن لم يكن بميراث المئات والآلاف التي تصورتها خادمة الفندق، ولكن على الأقل بمبلغ قدره ثمانية آلاف جنيه، ولم تكن له موارد خاصة سوى مرتبه، وكان ينفق بإسراف، ويميل إلى صحبة النساء.. وكان علينا أن نتحرى عن علاقته بابنة طبيب البلدة.. ولكن ثبت لنا أنه على الرغم مما كان بينهما من صداقة قوية، فقد دب الفتور إلى هذه العلاقة فجأة، ولم يشاهدهما أحد معا منذ شهرين سابقين على الحادث.. وقد دهش الطبيب ذاته لنتيجة التشريح.. فإنه استُدْعي حوالي منتصف الليل، ووجد الثلاثة في حالة سيئة.. فأرسل إلى صيدليته يطلب موافاته بأقراص أفيون لتسكين الآلام التي كانوا يشعرون بها.. وعلى الرغم من كل جهوده، فإن الزوجة قضت

نحبها، ولكنه لم يشك لحظة في حدوث شيء غير عادي.. وكان مقتنعا بأن الوفاة كانت نتيجة نوع من التسمم الغذائي.. كان الطعام تلك الليلة مؤلفا من جراد البحر المعلب مع السلطة والخبز والجبن وكعكة (التريفل) التي تصنع كما هو معروف من الفواكه والشراب والكريمة.. ومن سوء الحظ أنه لم يتخلف شيء من جراد البحر فقد أتوْا عليه عن آخره، وتخلصوا من العلبة.. وقد استجوب الطبيب الوصيفة الحسناء "**جلاديس لينش**"، فوجدها في حالة يرثى لها من الاضطراب والجزع، ولكنها أكدت مرارا وتكرارا أن العلبة لم يكن بها أي أثر للصدإ، وأن جراد البحر بدا لها في حالة جيدة تماما..

تلك هي الحقائق التي كان علينا أن نسير في التحقيق على هداها.. وإذا كان "**جونز**" هو الذي دس الزرنيخ لزوجته غدرا وخلسة، فقد كان من الواضح أنه لم يكن ليستطيع أن يفعل هذا في أي من ألوان الطعام التي تناولوها في العشاء؛ لأن الثلاثة أكلوا منه جميعا، ثم هناك نقطة أخرى وهي أن "**جونز**" عاد تلك الليلة من رحلته إلى "**برمنجهام**" في الوقت الذي كان يقدم فيه طعام العشاء، وهكذا لم تكن أمامه فرصة للعبث بالطعام مسبقا.. وهنا قالت "**جويس**" لمدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق:

– وماذا عن مرافقة الزوجة – المرأة القوية البنية ذات الوجه البش واللسان الحلو.. فأومأ السيد "**هنري**" قائلا:

– أؤكد لك أننا لم نهمل الآنسة "**كلارك**".. لكن بدا من المشكوك فيه أن يكون لها أي دافع إلى ارتكاب الجريمة.. فإن المتوفاة لم تترك لها أي شيء في وصيتها، وكانت نتيجة موت مخدومتها أنها ذهبت تبحث عن عمل جديد.. فقالت "**جويس**" متأملة:

– يبدو أن هذا يخرجها من دائرة الاتهام.. فاستطرد السيد "**هنري**" قائلا:

– ثم إن أحد مفتشي البوليس التابعين لي لم يلبث أن اكتشف مسألة ذات مغزى.. فإن "**جونز**" نزل بعد العشاء إلى المطبخ تلك الليلة وطلب من "**جلاديس لينش**" إعداد قدح من شراب (كورن فلاورز) لزوجته التي شعرت بشيء من الاضطراب، وقد انتظر في المطبخ حتى أعدت "**جلاديس**" الشراب وحمله بنفسه إلى غرفة زوجته.. وقد بدا أن هذا وحده يكفي لتوجيه التهمة إليه.. فقال المحامي:

– ولماذا لم تقبضوا عليه؟ لقد توفر ضده الدافع، والفرصة، وكونه مندوبا لشركة أدوية يجعل السموم في متناول يده.. فابتسم السيد "**هنري**" ابتسامة كاسفة قائلا:

– هذا هو الجانب القبيح في القضية.. إننا لم نقبض على "**جونز**"؛ لأن الآنسة "**كلارك**" قررت في التحقيق أنها هي التي شربت قدح الـ(كورن فلاورز) عن آخره، وليس السيدة "**جونز**".. فقد ذكرت المرافقة أنها ذهبت إلى غرفة السيدة "**جونز**"، ووجدتها جالسة في الفراش، وبجانبها قدح الشراب دون أن تمسه.. وقد طلبت منها أن تشربه بدلا منها؛ لأنها غيرت رأيها لشعورها بانحراف المزاج وعدم رغبتها في تناول أي شيء آخر بعد الوجبة الدسمة.. فشربت الآنسة "**كلارك**" القدح على الرغم من التزامها بالريجيم (النظام الغذائي).. وهكذا يرون أن هذه النقطة بالذات قد هدمت الاتهام بالنسبة إلى الزوج..

وعندما سُئل "**جونز**" عن العبارات التي وجدت على نشافة الفندق كان رده حاضرا.. قال إن الرسالة التي كتبها في الفندق كانت ردًّا على رسالة من أخ له في "**أستراليا**" طلب منه مساعدة مالية.. فرد عليه يقول إنه يعتمد تماما على زوجته، وعندما تموت زوجته يصبح مالها من نصيبه، وعندئذ يمكنه مساعدة أخيه إذا أمكن.. وقد أعرب له عن أسفه لعدم إمكانه تقديم المساعدة المطلوبة، ولكنه وجه نظره إلى أن الدنيا فيها مئات وآلاف من الناس يعانون مثل ضائقته المالية.. وهكذا

تهاوت القضية كلها، ولم يكن لنا أن نخاطر بالقبض على "**جونز**" لعدم ثبوت التهمة ضده.. واختتم السيد "**هنري**" قصته قائلا:

– هذه هي القضية كما تمثلت في العام الماضي.. وحلها الصحيح هو الآن بين يدي بوليس "**اسكتلنديارد**"، وفي ظني أنكم سوف تطالعون هذا الحل في الصحف في خلال أيام قلائل.. فقالت الفنانة الحسناء "**جويس**":

– ترى ما الحل الصحيح لهذه القضية.. ليفكر كلٌّ منا خمس دقائق، ثم يبدي لنا رأيه..

وهنا تولى "**ريموند ويست**" تسجيل الوقت، وعندما انتهت الدقائق الخمس التفت إلى الدكتور "**بندار**" القس قائلا:

– هلاّ قلت لنا رأيك أولا؟ فهز القس العجوز رأسه قائلا:

– أعترف بأنني في حيرة تامة.. لا أستطيع إلا أن أتصور أن الزوج هو الجاني.. أما كيف فعل فعلته فهذا ما لا أستطيع تصوره.. وفي رأيي أنه استطاع أن يدس السم لزوجته بطريقة لم يمكن إماطة اللثام عنها، وإن كنت لا أتصور كيف يمكن الكشف عن هذا بعد طول المدة..

– وأنت يا "**جويس**".. فراحت الفنانة الحسناء تقول بيقين:

– المرافقة هي الجانية.. لا يبعد أنها على الرغم من تقدم سنها كانت على علاقة غرامية مع "**جونز**".. ولكم أن تتصوروا شعور مرافقة مثلها، وهي مضطرة إلى مجاراة مخدومتها في كل شيء وملاطفتها ومصانعتها إلى غير ذلك من الأمور التي تقتل شخصية الإنسان واستقلاله الفكري وتشعره في دخيلته بالمهانة والمضض.. ثم جاء أخيرا يوم لم تعد فيه تطيق الصبر، فقتلت الزوجة.. والمرجح أنها هي التي دست الزرنيخ في قدح الشراب، ثم اختلقت تلك القصة التي قالتها عن تناولها هي نفسها القدح، خصوصا وهي تراعي النظام الغذائي في طعامها..

– وأنت يا سيد "**باتريك**" .. فراح المحامي يقول:

– لا يمكنني أن أجادل الحقائق المادية الثابتة... ولكن رأيي الخاص هو أن الزوج هو الجاني.. والتفسير الوحيد الذي يمكن استخلاصه من ثنايا الوقائع المادية هو أن الآنسة "**كلارك**" المرافقة أخذت عمدا دور المدافع عنه المتستر عليه.. ولا يبعد أنه عُقد بينهما اتفاق مالي يعطيها بموجبه بصفة خصوصية مبلغا جسيما إذا هي وافقت على التقدم في التحقيق بقصة شرابها لقدح الـ(كورن فلاورز)، وبهذا تدفع عن نفسها شبح الفاقة والتشرد.. وعندئذ قال "**ريمون د ويست**" بدوره:

– إنني أخالفكم جميعًا.. لقد نسيتم العنصر المهم في القضية، وأعني به ابنة الطبيب.. وإليكم تفسيري للقضية.. كانت علبة جراد البحر فاسدة، وهي تفسر ظهور أعراض التسمم.. وقد استُدْعي الطبيب، فوجد السيدة "**جونز**" التي أكلت من جراد البحر كمية أكبر من غيرها في حالة ألم شديد، فبعث في طلب بعض أقراص الأفيون كما قلتم لنا.. وأقول إنه بعث يطلب الأقراص، ولم يذهب بنفسه.. ومن الذي يعطي الرسول الأقراص.. ابنة الطبيب بالتأكيد وأغلب الظن أنها تتولى بنفسها تحضير مثل هذه العقاقير لأبيها.. وهي على علاقة غرامية بـ "**جونز**"، ومن المؤكد أن كل غرائزها الشيطانية تتحرك في هذه اللحظة، وتوقن بأن الوسيلة المتاحة لتحريره من قيود الزوجية قد سنحت بين يديها.. وهكذا ترسل الأقراص المطلوبة وبها زرنيخ مركز.. وهذا هو تحليلي للقضية.. فقالت "**جويس**" باهتمام:

– والآن يا سيد "**هنري**" .. قل لنا الحل الحقيقي للغز... فقال السيد "**هنري**" :

– مهلا يا سادة.. إن الآنسة "**ماربل**" لم تتكلم حتى الآن... فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها في اكتئاب قائلة:

– الحقيقة أنني انشغلت بهذه القضية إلى حد أنساني عدد غرز الإبرة للأسف..

إنها قضية محزنة فعلا.. إنها تذكرني بالسيد "**هارجريف**" العجوز الذي كان يقيم في "**مونت**".. إن زوجته ظلت لا يخامرها أي شك في أمره، إلى أن تُوفي، تاركا كل ثروته لامرأة كان يعيش معها، وقد أنجب منها خمسة أبناء... كانت هذه المرأة في وقت ما وصيفة عند الأسرة... وكانت السيدة "**هارجريف**" تثني عليها، وتقول إنها أكفأ وصيفة عرفتها.. وذلك طول الوقت الذي كان فيه "**هارجريف**" يعايش الوصيفة في بيت خاص استأجره لها في البلدة المجاورة، مع مواظبته على خدمة المصلين في الكنيسة كل أحد دون كلل أو انقطاع.. إن قضيتكم الحالية تذكرني بقصة "**هارجريف**" كما قلت.. والعناصر في القضيتين متماثلة تماما.. وأظن يا سيد "**هنري**" أن الفتاة المسكينة قد اعترفت، ولذلك فأنت تعرف حل اللغز... فقال "**ريموند**" بدهشة:

– أية فتاة تعنين يا عمتي..؟

– الفتاة المسكينة "**جلاديس لينش**" بالتأكيد... الفتاة التي بدا عليها أشد الاضطراب والجزع عندما استجوبها الطبيب.. وكان من الطبيعي أن تضطرب وتجزع.. أرجو أن ينال "**جونز**" الشرير جزاءه شنقا؛ إذ جعل من تلك الفتاة المسكينة قاتلة.. وأظنهم سوف يشنقونها هي الأخرى..

وعندما حاول المحامي أن يبين للآنسة "**ماربل**" خطأ استنتاجاتها هزت رأسها بإصرار ونظرت إلى السيد "**هنري**" قائلة:

– ألست على حق؟ إن عناصر القضية واضحة أمامي.. (المئات والآلاف).. وكعكة (التريفل). هذه أشياء لا يمكن أن يخطئها الإنسان.. فلم يتمالك "**ريموند**" أن هتف قائلا لعمته:

– وما حكاية كعكة (التريفل).. والمئات والآلاف؟ فالتفتت إليه الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– إن الطهاة يزخرفون كعكة (التريفل) بمئات وآلاف من القطع السكرية الصغيرة القرمزية والبيضاء، وعندما سمعت أنهم تناولوا في طعام العشاء كعكة (التريفل) إلى جانب الأصناف الأخرى وأن الزوج حرر لأحدهم رسالة عن (المئات والآلاف) كان من الطبيعي أن أربط بين الاثنين.. فهنا كان موضع الزرنيخ.. في مئات وآلاف من القطع السكرية الصغيرة.. إنه ترك المادة مع الفتاة وطلب منها أن تضعها مع الكعكة.. فاعترضت "**جويس**" قائلة:

– لكن هذا مستحيل.. إنهم أكلوا جميعا من الكعكة.. فردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– آه كلا.. إن المرافقة كانت تراعي النظام الغذائي كما تذكرون.. ولا يمكن أن يأكل إنسان كعكة دسمة مثل هذه إذا كان يلتزم بالنظام الغذائي.. وأعتقد أن "**جونز**" أزال مئات وآلاف القطع السكرية الصغيرة من قطعة التريفل التي كانت من نصيبه وتركها في جانب الطبق... إنها فكرة حاذقة، ولكنها شريرة بالتأكيد.. وهنا تركزت جميع الأنظار على السيد "**هنري**"، الذي راح يقول بتؤدة:

– إن الآنسة "**ماربل**" أصابت كبد الحقيقة في الواقع.. إن "**جونز**" غرر بالوصيفة "**جلاديس لينش**" ووضعها في موقف لا تحسد عليه.. كانت الفتاة في حالة يأس.. وقد أراد "**جونز**" أن يزيح زوجته من الطريق، ووعد "**جلاديس**" بالزواج بها بعد وفاة زوجته.. وهكذا دس الزرنيخ في مئات وآلاف القطع السكرية الصغيرة، وأعطاها للفتاة مبينا لها كيف تستخدمها.. إن "**جلاديس لينش**" توفيت منذ أسبوع.. وقد توفي وليدها في أثناء الوضع، بعد أن كان "**جونز**" قد هجرها إلى امرأة أخرى.. وعندما كانت "**جلاديس**" على فراش الموت اعترفت بالحقيقة كاملة.. خيم صمت قصير الأمد، لم يلبث "**ريموند**" أن قطعه قائلا:

– هذه قضية أخرى تسجل عبقريتك يا عمتي، وإن كنت لا أدري كيف

توصلت إلى الحقيقة.. لم أكن أتصور قط أن يكون للوصيفة اي ضلع في القضية.. فقالت الآنسة "**ماربل**" باسمة في تواضع:

– ذلك لأنك يا عزيزي لم تختبر الحياة كما أتيح لي أن أختبرها.. إن رجلا من طينة "**جونز**" مفطور على فساد الطبع وانحلال الخلق وانعدام الضمير... وعندما علمت أنه كانت في البيت فتاة حسناء أيقنت في الحال بأنه لن يدعها وشأنها.. هذا شيء أليم ومحزن إلى أبعد الحدود، ولا ينبغي أن يخوض الإنسان فيه كثيرا.. فلنطو هذه الصفحة الأليمة..

- 16 -

سحر عشتروت

أهم الشخصيات :

- القس "**بندار**" : راوي القصة .
- السيد "**ريتشارد هايدن**" : صديق القس "**بندار**" رجل ثري.
- "**إليوت هايدن**" : ابن عم السيد "**ريتشارد**" .
- "**ديانا آشلي**" : فتاة المجتمع. فاتنة الجمال .
- الدكتور "**سيموند**" : صديق السيد "**ريتشارد**" .
- "**فيوليت مانرنج**" : إحدى ضيفات السيد "**ريتشارد**" .

سحر عشتروت

قالت الفنانة "**جويس لامبريير**" :

– والآن يا دكتور "**بندار**"، ما القضية التي ستعرضها علينا لكي نحل غوامضها؟

فابتسم القس العجوز برقة، وقال:

– إن حياتي كان طابعها الهدوء، إلا مرة واحدة مررت فيها وأنا شاب بتجربة غريبة مأساوية..

إن مسرح قصتي في إقليم "**دارتمور**" في منزل خلوي يمتلكه صديقي السيد "**ريتشارد هايدن**" أطلق عليه اسم (الغابة الصامتة)، وقد دعاني مع أصدقاء آخرين إلى تمضية أيام ضيوفًا عليه..

وكان أبرز الضيوف "**ديانا آشلي**" فتاة المجتمع التي امتازت بجمالها الفاتن ونبراتها الموسيقية، وقد لمست من أول يوم أن السيد "**هايدن**" مفتون بها، وإن كنت لم أستطع أن أحدد شعورها نحوه؛ إذ كانت تختصه يوما بكل اهتمامها، ثم تتجاهله يوما آخر وتؤثر بهذا الاهتمام ابن عمه الشاب "**إليوت هايدن**"، وهكذا، حتى يحار الإنسان في تكييف حقيقة شعورها..

وفي اليوم التالي لوصولنا دعانا المضيف لمشاهدة المنطقة الطبيعية التي قام فيها المنزل الخلوي، وكانت من المناطق المقفرة التي تكثر فيها الحفريات الأثرية، وقد اكتشفت بها أدوات برنزية من العصر الحجري. وبعد أن حدثنا السيد "**هايدن**" عن تلك الاكتشافات بحماسة الهاوي الخبير مبينًا أنه قد تعاقب عليها أبناء العصر الحجري والفينيقيون والرومان، أشار إلى بقعة صخرية جرداء تجاورها غابة صغيرة قائلا:

– هذه هي الغابة المعروفة باسم (الغابة الصامتة)، والتي استمد منها المنزل

اسمه.. وهي من بقايا عهود ما قبل التاريخ، وربما يرجع تاريخها إلى عهد استيطان الفينيقيين لهذه البلاد.. تعالوْا أفرجكم عليها..

فتبعناه جميعا.. وكان السكون المطبق يخيم على الغابة الصغيرة حتى شعرت بالانقباض والوحشة.. وقال "**هايدن**" باسما:

– هذه غابة "**عشتروت**".. وفي قلبها كانت تقام طقوس مقدسة... وهنا غمغمت "**ديانا آشلي**" وقد بدت في عينيها نظرات بعيدة حالمة:

– طقوس مقدسة.. ترى ماذا كانت هذه الطقوس؟ فرد "**هايدن**" قائلا:

– في قلب الغابة معبد أطلق عليه اسم معبد "**عشتروت**".. تعالوْا معي..

في هذه اللحظة وصلنا إلى دائرة مكشوفة بين الأشجار في وسطها كشك حجري تقدمنا "**هايدن**" إلى داخله.. فوقع نظرنا على تمثال لامرأة جالسة على أسد، وقد حف برأسها قرنان مقوسان، وقال "**هايدن**" يعرفنا بها:

– هذه هي "**عشتروت**"، ربة القمر عند الفينيقيين. فهتفت "**ديانا**" قائلة:

– ربة القمر.. يا للمناسبة البديعة.. لنُقم هذه الليلة حفلة تنكرية هنا في ضوء القمر، ونحتفل بإحياء طقوس الإلهة "**عشتروت**"..

وأصارحكم أنني توجست شرًّا من هذا المكان الغريب، وشاركني بعض الضيوف هذا الإحساس ولم يطل بنا الوقوف والتأمل، وعدنا إلى المنزل على الأثر..

وعلى الرغم من ذلك فإن اقتراح "**ديانا آشلي**" بإقامة حفلة تنكرية ليلية قد تغلب في النهاية.. وعندما اجتمع شملنا حول مائدة العشاء وقد تنكر كل منا بما راقه، ساد المرح أرجاء المنزل، وتجاوبت الضحكات والدعابات في كل مكان..

وخرجنا بعد العشاء من المنزل.. وكانت ليلة حارة صافية، وبدأ القمر يبزغ في الأفق.. وأمضينا ساعة كاملة نتجول هنا وهناك، ونتسامر بأحلى الأحاديث، إلى أن استرعى نظرنا في النهاية أن "**ديانا آشلي**" الفاتنة ليست معنا.. فقال "**ريتشارد هايدن**":

– من المؤكد أنها لم تذهب للنوم.. فقالت "**فيوليت مانرينج**" إحدى الضيفات مشيرة إلى ناحية الغابة:

– إنني رأيتها تتجه إلى هناك منذ ربع ساعة.. فقال "**ريتشارد هايدن**":

– ترى ماذا تدبر لنا هذه الشيطانة الفاتنة... لنذهب وننظر..

فاتجهنا جميعا إلى ناحية الغابة التي بدت سوداء.. وأقول الحق إنني شعرت بانقباض، وحدثتني النفس بقرب وقوع مكروه... وأحسب أن بعض الضيوف كانوا يشاطرونني هذا الإحساس.. لكننا لم نكن لنستطيع التراجع، وهكذا كتمنا مشاعرنا وأخذنا نسير معا متلاصقين صامتين أو هامسين..

وما كدنا نخرج من نطاق الغابة إلى الدائرة المكشوفة بين أشجارها حتى وقفنا مسمَّرين في مكاننا، وقد تملكنا أشد الذهول.. فقد وقعت أنظارنا عند مدخل معبد "**عشتروت**" على هيكل فتاة ملتفة بغلالة سوداء، وقد برز من شعرها الغزير قرنان مقوسان.. ولم تتمالك "**فيوليت**" أن هتفت:

– يا إلهي.. هذه "**ديانا**".. ماذا فعلت بنفسها؟ إنها تبدو مختلفة عما نعرف.

ولم يلبث الهيكل القائم في مدخل المعبد أن رفع يديه.. ثم تقدم خطوة إلى الأمام، وأخذ يترنم بصوت عال حلو النبرات:

– أنا كاهنة "**عشتروت**".. احذروا وأنتم تقتربون مني، فإنني أحمل الموت في يدي.. وعندئذ وثب "**هايدن**" نحوها قائلا:

– أيتها الربة "**ديانا**"، أنت رائعة.. ولكنها هتفت محذرة:

– احترس.. لا تقترب من الإلهة.. إذا وضع أحدكم يده عليَّ، فهنا الموت.. فهتف بها "**هايدن**" قائلا:

– أنت رائعة يا "**ديانا**".. لكن كفى الآن.. إني لا أرتاح إلى هذا.. وتقدم نحوها فوق الحشائش مادًّا يده.. فصاحت به:

– قف.. إذا خطوت خطوة واحدة فسأرميك بسحر "**عشتروت**".. فضحك "**ريتشارد هايدن**" وزاد اقترابا منها، وعندئذ حدث فجأة شيء غريب.. فقد وقف مترددا برهة، وما لبث أن رأيناه يتعثر، ثم يقع ممدداً على الأرض.. ولم ينهض من رقدته.. ولكنه ظل منبطحا على الأرض مكانه.. وفجأة أخذت "**ديانا**" تضحك بصورة هستيرية.. وكان صوتها غريبا مروعا، وصداه في سكون الغابة الصغيرة..

وفي هذه اللحظة وثب "**إليوت هايدن**" إلى الأمام وهتف قائلا:

– أنا لا أحتمل هذا.. قم يا رجل.. ولكن "**ريتشارد هايدن**" بقي في رقدته.. فدنا منه ابن عمه "**إليوت**"، وركع بجانبه، وقلبه برفق على ظهره وانحنى فوقه ينظر إلى وجهه.. وما لبث أن نهض قائما بحركة فجائية، ووقف يترنح قليلا، قائلا لأحد المدعوين:

– دكتور "**سيموند**".. تعال بالله.. أظن.. أنه مات..

فاندفع الدكتور "**سيموند**" إلى الأمام، في حين عاد إلينا "**إليوت**" متهالك الخطى، وهو ينظر إلى يديه بطريقة لم أفهمها.. وفجأة انبعثت صرخة مدوية من "**ديانا**" قائلة:

– إنني قتلته.. رباه.. لم أقصد هذا.. ولكنني قتلته..

وهوت مغمى عليها.. وتكوَّمت فوق الحشائش.. فصرخت إحدى المدعوات مولولة:

– أبعدونا عن هذا المكان الفظيع.. أبعدونا قبل أن تحدث مصائب أخرى.

واقترب "**إليوت**" مني وشد على ذراعي قائلا:

– لا يمكن أن يحدث هذا.. لا يمكن أن يُقتل إنسان على هذه الصورة.. هذا شيء ضد الطبيعة. فقلت له أهدئ من روعه:

– لابد من وجود تفسير لما حدث.. لابد من أن ابن عمك كان مريضا بالقلب

دون أن يعرف أحد.. فجاءت الصدمة والانفعال لكي.. ولكنه قاطعني قائلا:

– أنت لا تعرف.. ورفع إليّ يديه، فرأيت فيهما بقعا حمراء.. وابتدرني قائلاً:

– إن "**ريتشارد**" لم يمت بصدمة.. إنه مات مطعونا، مات بطعنة في قلبه.. ولا يوجد سلاح..

أخذت أحدق إليه وأنا لا أصدق.. وفي هذه اللحظة نهض الدكتور "**سيموند**" بعد فحص الجثة، وتقدم نحونا وهو ممتقع الوجه يرتجف من رأسه إلى قدميه.. وقال:

– هل اختبلنا جميعا.. ما هذا المكان.. كيف تحدث مثل هذه الحوادث؟ فقلت له:

– إذن فما حدث حقيقي.. فأومأ الطبيب برأسه قائلا:

– يبدو أن الجرح حدث من خنجر طويل مدبب.. لكن.. لا يوجد أي خنجر.. فهتف "**إليوت**":

– لكن لابد من وجوده.. لابد من أنه سقط بعيداً.. لنبحث عن الخنجر.. فأخذنا نحدق إلى ما حولنا بجهد في ضوء القمر الحسير.. وفجأة قالت "**فيوليت**":

– لقد كان في يد "**ديانا**" شيء.. شيء يشبه الخنجر.. إنني رأيته يلمع في يدها وهي تهدده.. وركعت أمام الفتاة المغمى عليها، ثم قلت:

– لا يوجد الآن شيء في يدها.. وتقدم الدكتور "**سيموند**" من "**ديانا**" قائلا:

– لابد من نقلها إلى المنزل.. ساعدوني.. وتعاونّا على نقل الفتاة المغمى عليها إلى المنزل.. ثم عدنا بعد ذلك إلى الغابة المشؤومة ونقلنا جثة السيد "**ريتشارد هايدن**".. وأرسلنا نستدعي البوليس.. وفي أثناء ذلك انتحى بي "**إليوت هايدن**" جانبا وقال لي:

– إنني ساعود إلى الغابة.. لابد من العثور على ذلك الخنجر.. فقلت له مرتابا:

– إذا وجد خنجر فعلا.. فاشددْ على ذراعي بعنف قائلا: "أنت مثلهم تؤمن بالخرافات.. تظن أن الوفاة نتيجة شيء خارق مما وراء الطبيعة". أما أنا فإنني عائد إلى الغابة للبحث..

كنت ضد رأيه.. وحاولت جاهدا أن أثنيه عن عزمه، لكن بلاجدوى.. كانت ليلة مروعة لم يذق فيها أحد من الضيوف النوم، وعندما جاء رجال البوليس لم يصدقوا شيئًا مما قيل.. وحاولوا استجواب "**ديانا آشلي**".. ولكن الطبيب مانع بشدة قائلا إنه أعطاها جرعة منومة بعد أن أفاقها من الغيبوبة، وأنه لابد من تركها نائمة حتى الصباح..

ولم يفكر أحد في "**إليوت هايدن**" حتى كانت الساعة السابعة من صباح اليوم التالي، وعندئذ سأل الدكتور "**سيموند**" عنه فجاة.. ولما أبلغته بما كان من "**إليوت**" في الليلة الماضية زاد وجهه امتقاعا، وقال لي:

– يا ليته لم يفعل.. هذا تهور..

– هل تظن أنه أصيب بمكروه؟

– أرجو الا يكون ذلك.. ومن رأيي أن نذهب معًا للبحث..

كنت أراه محقًّا في هذا الطلب.. ولكنني استجمعت أقصى شجاعتي للقيام بهذه المهمة.. فذهبنا إلى الغابة المشؤومة ونحن نناديه في الطريق.. وعندما وصلنا إلى الدائرة المكشوفة بين الأشجار أمسك الدكتور "**سيموند**" بذراعي فجأة.. فقد وقع بصرنا على "**إليوت هايدن**" ممدداً على الأرض في البقعة نفسها التي تمدد فيها ابن عمه "**ريتشارد**" في الليلة الماضية.. هتف "**سيموند**":

– رباه.. إنه أصيب هو أيضًا.. وأسرعنا إلى مكانه فوق الحشائش.. فوجدنا "**إليوت هايدن**" فاقد الوعي، ولكنه يتنفس تنفسًا ضعيفًا، ولم يكن هناك شك

هذه المرة فيما سبَّب الفاجعة. .فقد بقيت في الجرح أداة قاطعة طويلة رفيعة من البرنز.. وقال الدكتور "**سيموند**" :

– إنه أصيب في الكتف، وليس في القلب، وهذا من حسن الحظ..

لا أدري والله كيف أفكر.. على أي حال فهو لم يمت، وسوف يكون في مقدوره أن يخبرنا بما حدث..

لكن هذا ما لم يكن في مقدور "**إليوت**" أن يفعله. كان كلامه مشوشًا إلى أبعد حد.. فقد قال إنه راح يفتش عن الخنجر عبثا، وبعد أن نفض يديه من البحث وقف قليلا قرب المعبد.. وعند ذلك أيقن أن هناك من يراقبه بين الأشجار.. ثم شعر بريح شديدة البرودة تهب من داخل المعبد.. فاستدار لينظر إلى الداخل.. فوقع نظره على تمثال الربة "**عشتروت**" يتطاول ويزيد طولا، وإن عزا ذلك إلى خداع البصر. وفجأة شعر بشبه ضربة فيما بين صدغيه جعلته يترنح ويسقط على ظهره، وشعر وهو يسقط بألم حاد ملهب في كتفه اليسرى..

وقد تبين أن الخنجر مطابق للخنجر الذي اكتُشف في المنطقة الأثرية واشتراه "**ريتشارد هايدن**".. أما أين كان يحتفظ به، في المنزل أو في معبد "**عشتروت**"، فهذا ما لم يعرفه أحد..

وكان من رأي البوليس أن "**ديانا آشلي**" هي التي طعنت السيد "**ريتشارد هايدن**" عمدا.. ولكن إزاء شهادتنا الجماعية بأنه كانت تفصل بينهما مسافة ثلاثة أمتار تقريبا، فإن البوليس عجز عن توجيه التهمة إليها رسميًّا.. وهكذا بقي الحادث لغزاً.. خيم صمت طويل بعد أن فرغ القس من قصته.. وأخيراً سألته "**جويس لامبريير**" :

– هذا شيء فظيع مروع.. أليس عندك تفسير له يا دكتور "**بندار**"..؟ فأومأ الرجل العجوز قائلا:

– نعم.. عندي تفسير من نوع ما.. وهو تفسير غريب في الواقع، وإن كان يدع بعض النقاط الغامضة يلابسها الغموض.. فقالت "**جويس**":

– في رأيي أنه يمكن تفسير ما حدث من خلال التنويم المغناطيسي.. إن "**ديانا آشلي**" أحالت نفسها إلى كاهنة للإلهة "**عشتروت**"، وأظنها طعنت "**ريتشارد هايدن**" بطريقة ما.. ولعلها قذفته بالخنجر الذي رأته "**فيوليت**" في يدها.. فقال "**ريموند ويست**" بدوره:

– أو ربما قذفته بحربة، خصوصًا وضوء القمر لم يكن قويا.. وهنا يدخل دور التنويم المغناطيسي الجماعي.. فقد كنتم كلكم على استعداد لتصديق أنه صُرع بواسطة قوة خفية مما وراء الطبيعة، ونظرتم إلى الحادث بهذه العين.. فقال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق:

– في رأيي أنه من الممكن أن يختبئ شخص بين الأشجار ويقذف بخنجر أو حربة بدقة كافية – بشرط أن يكون مدربا.. ولعلكم تتذكرون أن المصاب الثاني قرر أنه شعر كأن شخصا بين الأشجار يراقبه.. أما شهادة الآنسة "**فيوليت**" بأنها رأت "**ديانا آشلي**" ممسكة بخنجر، فإنكم جميعا نفيتم هذا.. أما المحامي "**باتريك**" فقد تنحنح قائلا:

– لكن بين هذه الآراء والافتراضات يبدو أننا ننسى حقيقة جوهرية.. ماذا جرى لسلاح القتل.. إن الآنسة "**ديانا آشلي**" كان يستحيل عليها إخفاؤه وهي واقفة في بقعة مكشوفة.. وإذا كان قاتل يختبئ وهو الذي قذف بالخنجر، إذن لظل الخنجر في الجرح ولأمكن العثور عليه.. إذن فلابد من نبذ التصورات النظرية والاعتماد على الحقائق المادية..

– وإلى أين توصلنا هذه الحقائق المادية..؟

– هناك شيء واضح لا خلاف عليه.. فإنه لم يكن هناك أحد قرب "**ريتشارد**

هايدن" عندما خر صريعا.. وإذن فالشخص الوحيد الذي يمكن أن يطعنه هو (نفسه).. أعني الانتحار في الواقع.. فقال "**ريموند ويست**" متشككا:

– لكن ما الذي يدعوه بالله إلى الانتحار.. فسعل المحامي، ثم أجاب قائلا:

– هذا سؤال نظري مرة أخرى.. إنني في هذه المرحلة لا أعول على النظريات.. واستبعادا لمسألة القوى الخفية الخارقة ومسائل ما وراء الطبيعة، وهو ما لا أسلم به، فإن هذا هو تصويري المادي لما حدث.. إنه طعن نفسه، وفي سقطته انبسطت ذراعاه، مما أدى إلى انتزاع الخنجر من الجرح وانقذافه بعيدا بين نطاق الأشجار.. وهنا تكلمت الآنسة "**ماربل**"، فقالت:

– الحقيقة أنه لا يمكن الجزم بشيء بصورة قاطعة.. إن الوقائع محيرة في الواقع.. ولكن هناك غرائب تحدث فعلا.. بالتأكيد لا شك في أن هناك طريقة واحدة تلقّى بها السيد "**ريتشارد**" المسكين تلك الطعنة، لكنني أود أن أعرف قبل كل شيء ما الذي جعله يتعثر ويسقط.. بالتأكيد لا يبعد أنه تعثر في جذر شجرة ناتئ فوقع على الأرض.. فقد كان يتطلع إلى "**ديانا آشلي**"، وفي ضوء القمر يمكن أن يتعثر الإنسان في أي جسم ناتئ. فقال لها القس وهو يتطلع إليها بنظرة غريبة:

– قلت إن هناك طريقة واحدة تلقّى بها السيد "**ريتشارد هايدن**" تلك الطعنة القاتلة.. فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– إنها قصة محزنة، ولا أحب أن أفكر فيها.. وأرجو ألا يكون ذلك الشاب التعس "**إليوت هايدن**" قد أفاد من جريمته الشريرة.. فلم يتمالك "**ريموند**" أن هتف قائلا:

– "**إليوت هايدن**".. هل تظنين أنه هو الذي ارتكب الجريمة؟ فردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– لست أدري كيف يمكن أن يرتكبها شخص غيره.. أعني إذا أخذنا برأي

الأستاذ المحامي، واستندنا إلى الحقائق المادية، مستبعدين جو الآلهة القديمة وغير ذلك من الترهات..

إن "**إليوت**" هو الذي تقدم إلى "**ريتشارد**" قبل غيره وقلبه على ظهره، ولما كان متنكرا في زي قطاع الطرق في أثناء الحفلة، فلابد من أن يكون في حزامه سلاح من نوع ما.. وأذكر أنني رقصت في شبابي في أثناء حفلة تنكرية مع رجل تنكر في زي قطاع الطرق، فكان يحمل خمس مدى وخناجر مختلفة، ولا أستطيع أن أصف لكم ما يحس به شريكه في الرقص من ارتباك واضطراب. وعندئذ اتجهت أنظارهم جميعا إلى الدكتور "**بندار**". فبدأ الرجل العجوز يقول:

– إنني عرفت الحقيقة بعد خمس سنوات من وقوع تلك المأساة.. وقد جاءتني في شكل رسالة تلقيتها من "**إليوت هايدن**".. قال في الرسالة إنه تصور أنني كنت أرتاب فيه طول الوقت، وقد اعترف بأن ما حدث كان نتيجة إغراء فجائي تملكه.. فإنه أحب "**ديانا آشلي**" قبل ابن عمه "**ريتشارد هايدن**" ولكنه كان فقيرا.. وبإزاحة "**ريتشارد**" من الطريق، وحصوله على الميراث واللقب من ابن العم هذا، فقد كانت أمامه فرصة لا مثيل لها لتحقيق حلمه.. وعندما سقط ابن عمه "**ريتشارد**" على الأرض متعثرا، وانحنى هو فوقه، شعر بوجود الخنجر في حزامه، وقبل أن يفكر فيما هو فاعله أغمد الخنجر في قلبه، وأعاده إلى حزامه ثانية.. ثم طعن نفسه في المرة الثانية، لكي يبعد الشبهة عنه.. وقال إنه كتب إليَّ رسالة ليلة ارتحاله في بعثة إلى القطب الجنوبي، قال فيها إنه من المحتمل ألا يعود.. ولا أظن أنه كان ينوي العودة، وأعتقد – كما قالت الآنسة "**ماربل**" – أنه لم يستفد شيئا من جريمته.. فقد اختتم الرسالة قائلا إنه ظل خمس سنوات وهو يعيش في جحيم، وإنه يرجو أن يكفر عن جريمته بميتة بطولية..

وخيم الصمت مرة أخرى.. وأخيرا قال السيد "**هنري**":

– وكان نصيبه هذه الميتة فعلا.. إنك غيرت الأسماء في قصتك يا دكتور "**بندار**"، لكن أظن أنني أعرف الرجل الذي تقصده. فاستطرد القس قائلا:

– ومع ذلك فما زلت أشعر بأنه كان هناك تأثير شرير كان يبسط ظلاله على تلك الغابة المشؤومة، تأثير كان هو المحرك للشاب "**إليوت هايدن**" للإقدام على جريمته.. ومازلت حتى اليوم لا أستعيد ذكرى فاجعة معبد "**عشتروت**" دون أن أشعر بقشعريرة تسري في بدني..

شحنة الذهب

أهم الشخصيات :

- السيد "**ريموند ويست**" : راوي القصة.
- "**باد جويرث**" : مفتش بوليس سري.
- "**بيل هيجنز**" : غواص تابع لـ"**نيومان**"
- "**جون نيومان**" صديق السيد "**ريموند ويست**" .
- "**إليزابيث**" : خادمة السيد "**جون نيومان**" .
- "**كيلفين**" : صاحب حانة (المراسي الثلاثة).

شحنة الذهب

قال "**ريمو ند ويست**" لأعضاء (ندوة الثلاثاء الليلية) :

– سأقص عليكم بدوري وقائع قضية غريبة حدثت منذ عامين، عندما ذهبت إلى مقاطعة "**كورنوال**" لتمضية أسبوع (عيد العنصرة) عند شخص يدعى "**جون نيومان**"، في قرية "**بولبيران**" التي تقع على الشاطئ الغربي، وهي منطقة صخرية موحشة.. وكنت قد تعرفت إليه منذ أسابيع قلائل، ووجدته شخصية طريفة ذات ميول رومانسية، وكان حجة في التاريخ المعاصر للملكة "**إليزابيث**"، وعندما سمعته يحدثني بإفاضة وحماسة عن إبادة أسطول الأرمادا الإسباني في ذلك العهد، خيل إليّ أنه كان من شهود هذه المعركة الشهيرة.. وهنا قالت الآنسة "**ماربل**"، وهي تنظر إلى ابن أخيها بمودة :

– أراك بدأت تتأثر بالطابع الرومانسي يا بني.. فقال "**ريمو ند**" بامتعاض:

– هذا آخر شيء في طبعي.. ولكن كلام "**نيومان**"هذا ألهب خيالي.. فقد حدث أن سفينة معينة من سفن أسطول الأرمادا محملة بشحنة كبيرة من الذهب الخاص بـ "**إسبانيا**" قد تحطمت على شاطئ "**كورنوال**" عند صخور "سربنت" الغادرة.. وقد حدثني "**نيومان**" أنه منذ سنوات عديدة بُذلت محاولات لانتشال الذهب الغارق، وقد أُنشئت شركة للقيام بهذا العمل، ولكنها أفلست، واستطاع "**نيومان**" أن يشتري حقوق القيام بهذه العملية، وكان من رأيه أن الاستعانة بالأساليب العلمية والآلات الحديثة كفيلة بتحقيق هذا الغرض.. والحقيقة أن حماسة "**نيومان**" سرت إلى نفسي، وضاعف من حماستي لمشاهدة هذه العملية من كثب. كنت وقتئذ منهمكا في كتابة رواية جديدة تقع بعض أحداثها في القرن السادس عشر، ورأيت الفرصة سانحة للحصول على المادة اللازمة لذلك

المكان التاريخي..

وهكذا سافرت من "**لندن**" بالقطار في صباح يوم جمعة وأنا ممتلئ حماسة وشوقا.. وكانت الحركة خالية إلا من رجل جلس في الركن المواجه لي يلوح عليه الطابع العسكري، وخيِّل إليَّ أنني رأيته من قبل.. وبعد أن شحذت ذاكرتي فترة تذكرت أنه مفتش البوليس السِّري "**بادجويرث**"، وكنت قد التقيت به في أثناء كتابتي لسلسة من المقالات في قضية اختفاء شغلت الأذهان في حينها..

ولم أتوان في تقديم نفسي إلى مفتش البوليس السِّري وبعد برهة كنا نتحادث كصديقين، وعندما أخبرته بانني ذاهب إلى قرية "**بولبيران**" قال إنها ولا شك مصادفة غريبة؛ لأنه هو أيضًا ذاهب إلى القرية نفسها.. ولكنني لم أشأ أن أتطفل عليه بالأسئلة عن مهمته، وحدثته بدلا من ذلك عن سبب اهتمامي بهذه البقعة، مشيرا إلى سفينة الذهب الإسبانية الغارقة.. فوجدته لدهشتي يعرف كل شيء عنها، حتى أنه قال:

– إنها السفينة "**جوان فرنانديز**".. إن صديقك لن يكون آخر شخص يغرق أمواله في البحر لانتشال المال منه... فقلت للمفتش:

– ألا ترى أن الخيال لعب دوراً كبيراً في هذه القصة؟

– لكن السفينة غرقت هناك، لا شك في ذلك، مع سفن أخرى غيرها... ولعلك تدهش حين تعرف أن سفنا كثيرة تحطمت وغرقت على هذا الشاطئ الصخري... والحقيقة أن هذا الموضوع هو سبب ذهابي الآن إلى هناك، حيث تحطمت السفينة "**أوترانتو**"، وغرقت منذ ستة أشهر فقط... فقلت للمفتش:

– أتذكر أنني قرأت هذا الحادث... لكنه لم يقترن بغرق أحد...

– صحيح... ولكن غرق شيء آخر... فهناك مسألة لم يعرفها الكثيرون، وهي أن السفينة "**أوترانتو**" كانت تحمل شحنة من الذهب... فقلت وقد ثار اهتمامي:

– أحقًّا...؟!

– نعم... وطبيعي أننا كلفنا غواصين بالعمل لانتشال الذهب... ولكننا وجدناه قد اختفى... فحدقت إلى المفتش قائلا:

– اختفى! وكيف يمكن أن يختفي..؟

– هذه هي المعضلة... إن الصخور أحدثت ثغرة في عنبر السفينة... وكان من السهل أن ينفذ منها الغواصون إلى داخل العنبر... ولكنهم وجدوه خاويا... والسؤال هو: هل سُرق الذهب قبل غرق السفينة، أم بعد غرقها؟ وهل كان الذهب في السفينة فعلا؟

– هذه قصة غريبة...

– هي قضية غريبة كما تقول... إن شحنة الذهب ليس كعقد الماس يمكن وضعه في الجيب.. هي شيء ضخم كبير الحجم يستحيل اختفاؤه هكذا ببساطة... ولا يبعد أنه حدث عبث وتلاعب قبل إبحار السفينة... وإذا لم يكن هذا فلابد من أن شحنة الذهب قد انتُشلت في غضون الشهور الستة الماضية.. وأنا ذاهب إلى هناك للبحث والتحري...

ومهما يكن فإنني وجدت "**نيومان**" في انتظاري في المحطة. وقد اعتذر لي عن عدم وجود سيارته التي تعطلت وأرسلها للإصلاح، وجاء في سيارة نقل تابعة لمزرعته.. وهكذا صعدت إلى جانبه وسارت بنا سيارة النقل بطيئة في شوارع قرية الصيادين الضيقة المتعرجة... وسلكت سيارة النقل طريقا آخذا في الارتفاع حتى انتهى بنا إلى درب متعرج، قام في نهايته بيته الخلوي المعروف باسم "**بول هاوس**"...

كان في الواقع بيتا جميلا شُيِّد فوق ربوة صخرية عالية تطل على البحر... وعلى الرغم من قدمه فقد أضيف إليه جناح عصري حديث، وامتدت من خلفه مزرعة

مساحتها حوالي عشرة أفدنة...

وكانت ليلتي الأولى بديعة تستهوي النفس... وقد أطلعني مضيفي على مخطوطات قديمة خاصة بالسفينة الإسبانية "**جوان فرنانديز**"، وبسط أمامي خرائط ملفوفة شرح لي معالمها بإسهاب، كما أطلعني على رسوم لأجهزة غوص أعترف لكم بأنها أذكت خيالي إلى حد بعيد...

ولما حدثته عن لقائي بمفتش البوليس السِّري "**باد جويرث**" أبدى اهتماما كبيرا، وقال معقبا:

- إن أهل هذه المنطقة الساحلية ذوو طباع غريبة فعلا... إن التهريب والاستيلاء على الحطام يجري في دمائهم.. وعندما تتحطم سفينة على شاطئهم وتغرق يعدونها غنيمة مشروعة لهم... وهناك شخص منهم أود أن تراه، وسوف تجد فيه نموذجًا طريفا للماضي... وفي اليوم التالي رافقني إلى القرية، وعرَّفني إلى الغواص التابع له المدعو "**هيجنز**"، وكان شخصا جامد الملامح قليل الكلام... وبعد مناقشة فنية بينهما في أعمال الغوص ذهبنا إلى حانة (المراسي الثلاثة)، حيث حلَّ الشراب عقدة لسان الغواص، إذ قال لمخدومه:

- إن مفتش بوليس سري جاء من "**لندن**"... ويقال إن السفينة التي غرقت هنا في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي كانت تحمل شحنة من الذهب... على أي حال ليست هي أول سفينة من هذا النوع، ولن تكون آخر سفينة... وهنا تدخل صاحب الحانة قائلا:

- صدقت يا "**بيل هيجنز**"... فرد عليه "**هيجنز**" قائلا:

- إنني عند كلمتي دائما يا سيد "**كيلفين**"...

كان صاحب الحانة غريب الملامح، بوجهه الأسمر، وكتفيه العريضتين، وعينيه المحتقنتين، ونظراته المذبذبة، حتى أدركت على الفور أنه هو صاحب الشخصية

الغريبة التي تكلم عنها "**نيومان**" ومالبث صاحب الحانة أن قال في تبجح:

– إننا لا نريد أغرابا يتدخلون في شؤوننا على هذا الشاطئ... فسأله "**نيومان**" باسما:

– تقصد البوليس.. فأجاب "**كيلفين**" بلهجة معنوية:

– البوليس.. وغيره.. أرجو ألا تنسى هذا يا سيد..

ولم أتمالك أن قلت لضيفي ونحن نرتقي التل عائديْن إلى البيت الخلوي:

– هل تعرف يا "**نيومان**" أن لهجة صاحب الحانة بدت في سمعي أقرب إلى التهديد..؟ فضحك صديقي قائلا:

– كلام فارغ.. إنني لا أبادر الأهالي هنا بأي سوء..

هززت رأسي متشككا.. فقد لامست بوادر تنذر بالشر في مسلك "**كيلفين**" وهيئته.. وأعتقد أن أسباب قلقي بدأت منذ هذه المناسبة..

كان نومي متقطعا ومضطربا هذه الليلة، بعكس ليلتي الأولى.. وفي صباح يوم الأحد تغير الطقس فجأة، وبدا منذرا بالأمطار والرعود.. وفي فترة ما بعد الظهر دعاني "**نيومان**" إلى نزهة في قاربه البخاري، ولكن الأمطار هطلت فجأة حتى كان من دواعي سروري أن نعود إلى الشاطئ لتغيير ملابسنا..

وفي المساء شعرت بقلقي يتزايد.. فقد كانت العاصفة تزيد عنفا في الخارج.. على أنها لم تلبث أن هدأت حوالي العاشرة مساء..فأطل "**نيومان**" من النافذة وقال لي:

– إن الطقس بدأ يصفو.. وأراهن أنه لن يمضي نصف ساعة حتى تكون الليلة بديعة.. وفي هذه الحالة سأخرج للقيام بنزهة.. فقلت متثائبا:

– أما أنا فأشعر بميل شديد إلى النوم.. إنني لم أنم كفايتي في الليلة الماضية.. وأظن أنني سآوي إلى الفراش مبكرا.. وهذا ما فعلته.. فقد نمت نوما عميقا هذه

الليلة، وإن تخللته الأحلام المزعجة..

وعندما استيقظت كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا، وقد شعرت بصداع أليم نتيجة لتأثير الأحلام المفزعة التي خالطت نومي..

واتجهت إلى النافذة محاولا تخفيف ما أشعر به.. على أنني ما كدت أفتحها حتى تجددت مشاعر الفزع في نفسي.. إذ كان أول مشهد صادفته عيناي هو مشهد رجل يحفر قبرا مفتوحا..

وانتظرت دقيقتين حتى تمالكت نفسي.. ثم تبينت في النهاية أن من تصورت أنه حفّار قبور لم يكن سوى (بستاني) "**نيومان**"، وأن القبر لم يكن سوى حفرة لغرس ثلاث شجيرات ورد جديدة، كانت ملقاة على الحشائش تنتظر وضعها في الحفرة..

وتطلع البستاني إلى ناحيتي، فبادرني بالتحية قائلا إن الطقس بديع هذا الصباح، فرددت تحيته مؤمّنا على كلامه، وإن لم يفارقني شعوري بالانقباض الذي كان يلازمني.. ومهما يكن فإنني نزلت إلى الدور الأرضي لتناول طعام الإفطار.. ولم يكن عند "**نيومان**" نساء للخدمة في بيته، ولكن كانت تأتيه شقيقتان عانسان من المزرعة القريبة تتوليان إعداد مطالبه المحدودة.. وكانت إحداهما تصب القهوة لدى دخولي، فحييتها قائلا:

– صباح الخير يا "**إليزابيث**".. ألم ينزل "**نيومان**" بعد؟ فردت قائلة:

– لابد من أنه خرج مبكراً يا سيدي.. فإنه لم يكن في المنزل عندما وصلنا..

وفي الحال عاودني القلق.. ففي اليومين السابقين، نزل "**نيومان**" للإفطار معي، ولم أعهده مبكرا في الاستيقاظ من النوم.. وقد دفعتني هذه المخاوف إلى الإسراع بالصعود إلى غرفة نومه.. وإذا بي أجدها خالية، كما أن فراشه بدا مرتبا، وكأنه لم ينم فيه ليلته.. وزادت مخاوفي عندما اكتشفت شيئا آخر.. إذا صح أن "**نيومان**"

قد خرج للقيام بنزهة، فلابد من أنه خرج مرتديا ملابس السهرة؛ لأنني لم أجدها في الغرفة..

تأكدت الآن أن مخاوفي لها ما يبررها.. إن "**نيومان**" خرج للقيام بنزهة ليلية كما قال لي، ولكنه لم يعد لسبب ما.. فهل وقع له حادث؟ هل سقط من فوق الصخور العالية؟ لابد من البحث في الحال.. وهكذا لم تمض ساعات حتى جمعت فريقا من المساعدين، وأخذنا نبحث في كل مكان بين الصخور.. ولكننا لم نعثر على أثر.. وعندما تملكني اليأس في النهاية لم أجد إلا أن ألجأ إلى المفتش "**بادجويرث**".. وما إن استمع إلى قصتي حتى علاه الوجوم، وقال:

– يبدو لي أن هناك شرًّا مبيَّتًا.. هناك أناس لا يتورعون عن فعل أي شيء في هذه المنطقة.. هل قابلت "**كيلفين**" صاحب حانة (المراسي الثلاثة)..؟ ولما أجبت بالإيجاب قال المفتش:

– هل تعرف أنه كان محكوما عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة العنف والإتلاف؟ إن هذا لن يدهشني وأردف:

– إن الرأي السائد هنا هو أن صديقك "**نيومان**" يحشر أنفه في شؤون لا تعنيه. وأرجو ألا يكون قد أصابه مكروه..

وعلى أي حال فقد واصلنا البحث عن "**نيومان**" بهمّة مضاعفة.. وحوالي العصر أثمرت مساعينا الجاهدة في النهاية.. فقد عثرنا عليه في حفرة عميقة في ركن ناء في مزرعته.. وكان مقيد اليدين والقدمين، وعلى فمه منديل محكم لمنعه من الصراخ والاستنجاد. وكان المسكين مضعضعًا وفي حالة يرثى لها.. ولكن بعد أن أسعفناه بالتدليك وجرعات قوية من الشراب، استطاع أخيرا أن يحكي لنا قصته..

قال إنه خرج حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا للقيام بنزهة بعد أن صفا الطقس..

وقادته قدماه إلى بقعة بين الصخور تعرف باسم (كهف المهرجين) تنتشر فيها مغارات كثيرة متشابهة.. فاسترعى نظره بعض الرجال ينزلون شيئا من قارب صغير، وتقدم منهم مستطلعا.. وكان الشيء الذي ينزلونه كبير الحجم، وكانوا يتجهون به إلى أحد الكهوف.. وزاد ذلك من فضول "**نيومان**" حتى أخذ يقترب من الرجال لكي يتبين ما يفعلون دون أن يفطنوا إلى وجوده.

وفجأة تعالت صيحة انزعاج، وفي الحال انقض عليه رجلان قويان ممن يعملون في البحر وغيّباه عن الوعي.. ولما أفاق الفتى نفسه ممددا في سيارة نقل راحت تمضي بهم جميعا، وهي تهتز وتتطاوح في درب يؤدي من الساحل إلى القرية.. وكم كانت دهشته عندما وجد سيارة النقل تدخل بهم من بوابة منزله.. وبعد نقاش هامس بين الرجال رفعوه من مكانه مقيدا مكمما، وألقوا به في حفرة عميقة تجعل اكتشافه غير ممكن إلى حين.. ثم واصلت السيارة النقل سيرها وخرجت من بوابة أخرى في دائرة المنزل أقرب إلى القرية بنحو نصف كيلومتر.. ولم يستطع "**نيومان**" أن يعطي أوصاف مهاجميه، أكثر من أنهم من رجال البحر، ومن أبناء مقاطعة "**كورنوال**" طبقا للهجتهم وعندئذ هتف المفتش "**بادجويرث**" وقد اشتد اهتمامه:

– ثقوا بأن هذا هو المكان الذي أخفوا فيه الذهب.. لابد من أنهم انتشلوا الشحنة بطريقة ما من السفينة الغارقة وأودعوها أحد الكهوف المنعزلة.. ومن المعروف أننا فتشنا جميع المغارات في منطقة (كهف المهربين) وأننا قائمون بتوسيع دائرة التفتيش، والظاهر أنهم كانوا ينقلون الشحنة ليلا إلى كهف قد فتشناه من قبل، ولا يحتمل أن نعود إلى تفتيشه.. ولسوء الحظ أنهم سبقونا الآن بنحو 18 ساعة لإخفاء الشحنة.. وطالما قد أسروا السيد "**نيومان**" في الليلة الماضية، فأشك في أنه سيكون في وسعنا العثور على الشحنة الآن..

وقد أسرع المفتش للقيام بتفتيش جديد في ذلك المكان. فاكتشف آثاراً تدل على إيداع شحنة الذهب في إحدى المغارات ولكنها نقلت من مكانها إلى مكان جديد مرة أخرى، ولم يجد أثراً يرشد إلى المخبإ الجديد.. لكن كان هناك مع ذلك أثر توصل إليه المفتش، وحدثني عنه في صباح اليوم التالي قائلا:

– إن ذلك الدرب الذي سلكته سيارة النقل غير مطروق إلا نادرا، وقد عثرنا في بعض مواضع منه على آثار أُطُر ظاهرة تماما.. كانت هناك علامة مثلثة في أحد الأُطُر، وبدت واضحة تماما.. وقد تبين منها دخول سيارة النقل إلى البوابة، وخروجها من البوابة الأخرى.. وهذا مما يقطع بأنها سيارة النقل التي نبحث عنها.. والسؤال الآن هو: لماذا خرجوا بسيارة النقل من البوابة الأبعد.. يبدو لي أن سيارة النقل جاءت من القرية.. وإذا كان الأمر كذلك، فليس في القرية سوى أشخاص معدودين يمتلكون سيارات نقل.. هم اثنان أو ثلاثة على الأكثر، منهم "**كيلفين**" صاحب حانة (المراسي الثلاثة). فقال "**نيومان**":

– وماذا كانت مهنة "**كيلفين**" الأصلية..؟

– غريب أن تسألني هذا السؤال يا سيد "**نيومان**".. تبادلت النظر مع "**نيومان**".. لقد بدا اللغز يتكشف شيئا فشيئا. وما لبث المفتش أن سأل صديقي:

– ألم تتعرف إلى "**كيلفين**" بين الرجال الذين رأيتهم على الشاطئ..؟ فهز "**نيومان**" رأسه، وقال بلهجة الأسف:

– لا أظن أنني أستطيع أن أجزم بهذا.. وقد جاملني المفتش، وصحبني إلى حانة (المراسي الثلاثة).. وكان الجراج الملحق بها في طريق جانبي وأبوابه مغلقة.. ولكننا وجدنا في حارة ملاصقة بابًا صغيراً مفتوحًا.. ولم يستغرق بحث المفتش طويلا، إذ هتف قائلا:

– لقد توصلنا إليه والله.. هذه هي العلامة المثلثة واضحة كالشمس في إطار

العجلة الخلفية اليسرى.. الآن لن تستطيع يا سيد "**كيلفين**" أن تتملص من هذا الموقف..

وعند هذا الحد توقف "**ريموند ويست**" عن إتمام القصة فالتفتت إليه صديقته الفنانة الحسناء "**جويس**" قائلة:

– خيرا.. لا أظن بعد هذا أن هناك معضلة في هذه القصة.. اللهم إلا إذا كانوا قد عجزوا عن التوصل إلى مخبإ الذهب.. فأجاب "**ريموند**":

– إنهم لم يعثروا على الذهب بالتأكيد.. ولم يتوصلوا إلى إدانة "**كيلفين**" أيضًا.. وفي ظني أنه كان أكثر دهاء ومكرا، وإن كنت لا أعرف كيف تحقق له هذا.. لقد قُبض عليه فعلا على أساس علامة الإطار المثلثة، ولكن حدثت ثغرة غريبة عجز أمامها البوليس.. فقد كان أمام باب الجراج العمومي كشك صغير مؤجر لسيدة فنانة.. وكانت هذه الفنانة مريضة منذ أسابيع، وكانت تشرف على علاجها ممرضة جلست ساهرة تلك الليلة قرب النافذة المفتوحة.. وقد شهدت بأن السيارة النقل لا يمكن أن تغادر الجراج المواجه دون أن تراها، وأقسمت على أنها لم تخرج من الجراج تلك الليلة بالمرة.. فقالت "**جويس**":

– لا أظن أن هذه معضلة.. فلا شك في أن الممرضة غفلت واستولى عليها النوم، كما هو شأن أغلب الممرضات. فرد عليها "**ريموند**" قائلا:

– هناك الفنانة ذاتها.. فقد شهدت بأنها كانت تعاني آلاما هذه الليلة حتى ظلت مستيقظة أكثر الليل، وكان من المؤكد أن تسمع خروج السيارة النقل من الجراج خصوصًا وأن لها ضجيجًا لا تخطئه الأذن في سكون الليل.. وهو ما لم يحدث.. فقال القس الدكتور "**بندار**":

– وهل أثبت "**كيلفين**" وجوده بعيداً عن مكان الحادث وقت وقوعه..؟

– لقد قرر أنه كان في فراشه منذ الساعة العاشرة ليلا حتى الصباح، ولكنه لم

يستطع أن يقدم شهودا يؤيدونه.. فالتفت "**ريموند**" إلى مدير البوليس الأسبق قائلا:

– وما رأيك يا سيد "**هنري**"؟ فأجاب السيد "**هنري**" باسما:

– الحقيقة أنني أعرف معلومات عن هذه القضية، ولذلك أفضل الا اتكلم. فقال "**ريموند**":

– لم يبق إلا عمتي "**جين**".. أليس لديك ما تقولينه بصدد القضية؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– سأتكلم بعد دقيقة يا عزيزي.. إنني أخطأت في عد الغرز.. وسأتكلم بعد تصحيح العدد.. ولما عاد "**ريموند**" يسألها رأيها قالت:

– إنك لن ترتاح إلى رأيي يا عزيزي.. إن الشباب لا يحب عادة رأي الكهول.. الأفضل ألا اتكلم..

– كلام فارغ يا عمتي "**جين**".. هيا قولي لنا رأيك.. فوضعت الآنسة "**ماربل**" الخيوط وإبرة التريكو جانبا، وتطلعت إلى ابن أخيها قائلة:

– لا بأس يا عزيزي "**ريموند**".. في رأيي أنه خير لك أن تدقق في اختيار أصدقائك.. فأنت شاب سريع التصديق، سهل الانخداع.. وأظن أن السبب في ذلك أنك كاتب، ولك خيال واسع.. يا لتلك القصة عن سفينة الذهب الغارقة! لو أنك كنت أكبر سنا لالتزمت الحذر أكثر من هذا، مع رجل لم تتعرف إليه إلا منذ أسابيع معدودة.. وفجأة ضج السيد "**هنري**" بالضحك، وضرب على ركبته قائلا:

– لقد وقعت في الفخ هذه المرة يا "**ريموند**".. أما أنت يا آنسة "**ماربل**" فإنك عبقرية لا مثيل لها.. اعلم يا بني أن صديقك "**نيومان**" الذي رويت قصته له اسم آخر بل أسماء متعددة في الواقع، وهو الآن ليس في مقاطعة "**كورنوال**" بل في مقاطعة "**ديفونشير**" في سجن "**دارتمور**". إننا لم نقبض عليه بسبب قضية

شحنة الذهب المسروقة بل بسبب السطو على الخزانة الرئيسية في أحد بنوك "**لندن**" .. وعندما بحثنا سجله الماضي استطعنا أن نعثر على جانب كبير من الذهب المسروق من البنك مدفونا في حديقة بيته المسمى "**بول هاوس**" .. كانت فكرته في الواقع بارعة.. فعلى امتداد شاطئ "**كورنوال**" هناك قصص منتشرة عن السفن المحطمة الغارقة بما فيها من ذهب. وهذه القصص تفسر حكاية الغواصين، ويمكن أن تفسر فيما بعد سبب وجود ذهب البنك عنده.. لكنه كان يحتاج إلى كبش فداء، وكان "**كيلفين**" هو الكبش المثالي الذي وفَّى بالغرض.. والواقع أن "**نيومان**" لعب تمثيليته الكوميدية ببراعة وحذق، وقام صديقنا "**ريموند**" الروائي الشهير بدور الشاهد الذي لا تنقض شهادته.. فقالت "**جويس**" معترضة:

– لكن ما هي مسألة علامة إطار السيارة النقل؟ فتولت الآنسة "**ماربل**" البيان قائلة:

– إنني فطنت إلى هذه النقطة في حينها يا عزيزتي.. وإن كنت لا أعرف شيئا عن السيارات.. إن تغيير الأُطُر مسألة معروفة، ومن السهل نزع عجلة السيارة النقل الخاصة بـ "**كيلفين**" وإخراجها من الباب الجانبي الصغير في الحارة وتركيبها في سيارة النقل المملوكة للسيد "**نيومان**"، ثم الخروج بالسيارة النقل من إحدى البوابتين.. إلى الشاطئ، ونقل الذهب إليه، وإحضاره إلى المنزل عن طريق البوابة الثانية، وبعد ذلك كان من السهل إعادة العجلة المملوكة لـ "**كيلفين**" إلى السيارة النقل الخاصة بها، في الوقت الذي تكفَّل فيه أحدهم بتقييد السيد "**نيومان**" ووضعه في الحفرة، وأظن أن الرجل الذي ادعى أنه البستاني هو الذي تكفَّل بهذه العملية.. فقال "**ريموند**" بلهجة العجب:

– ولماذا تقولين: (ادعى أنه بستاني)؟! فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– حسنا. لا يمكن أن يكون بستانيًا حقيقيًا.. البستانيون لا يعملون في يوم

الاثنين الموافق عيد العنصرة، كما هو معروف لنا جميعًا.. وطوت الآنسة "**ماربل**" خيوطها وإبرتها قائلة:

– في الواقع، إن هذه الحقيقة الصغيرة هي التي أتاحت لي السير في الوجهة السليمة، وعندما تصبح رب بيت يا عزيزي وتكون لك زوجة، فسوف تعرف جيداً هذه المسائل اليسيرة..

بقع الدم

أهم الشخصيات :

الفنانة "**جويس لامبريير**" : الرسامة . راوية القصة .

– السيد "**دنيس داكر**" : أحد نزلاء الفندق .

– السيدة "**مرجريت**" : زوجة السيد "**دنيس**" .

– السيدة "**كارول**" : صديقة السيد "**دنيس**" .

بقع الدم

قالت "**جويس لامبريير**" الفنانة الحسناء لضيوف الندوة:

– حدثت هذه القصة الغريبة منذ خمس سنوات، وعلى الرغم من ذلك فإنها مازالت تطالعني إلى الآن باستمرار.. ومسرح القصة في "**راشهول**"، وهي قرية صغيرة من قرى صيد الأسماك في مقاطعة "**كورنوال**" تمتاز بمشاهدها الطبيعية الخلابة، وقد قصدت إليها لرسم لوحة من موقعها الفريد، وقضاء أسبوعين بين ربوعها لهذا الغرض. وكان في القرية فندق عتيق اسمه (بولهارويث آرمز) كان يقال إنه المبنى الوحيد الذي بقي في القرية بعد أن دمر الإسبان شواطئ المنطقة بمدافع سفنهم المغيرة منذ مئات السنين.

والفندق ذاته أثري جميل له مدخل قائم على أربعة أعمدة. وعندما اخترت موقعا جميلا بقربه ووضعت أدوات الرسم لأبدأ رسم لوحتي المنشودة توقفت بقربي سيارة نزل منها رجل وامرأة.. وبعد أن غاب الرجل في الفندق برهة عاد إلى السيارة، وقادها إلى ناحية رصيف الميناء حيث تركها، ومر بي عائدا إلى الفندق.. وفي الوقت نفسه جاءت سيارة أخرى من ناحية التل تشق طريقها بصعوبة في الحواري الضيقة المتعرجة، ثم هبطت منها امرأة بفستان مشجر زاهي الألوان، وعلى رأسها قبعة عريضة من القش ذات لون أحمر فاقع..

ولكن هذه المرأة لم تتوقف أمام الفندق، بل واصلت قيادة السيارة إلى أقصى الحارة، حيث نزلت منها أمام فندق آخر.. وما إن لمحها الرجل حتى صاح يناديها في دهشة:

– "**كارول**"..؟ تصوري أننا نلتقي من دون الأماكن كلها في هذه البقعة النائية.. إنني لم أرك منذ سنوات. معي هنا "**مرجريت**" زوجتي.. لابد من أن

تأتي لمقابلتها..

وسارا جنبا إلى جنب إلى حيث خرجت المرأة الأولى للقائهما.. وكنت قد ألقيت نظرة عابرة إلى ملامح المرأة المدعوة "**كارول**" وهي تمر بي، فرأيت وجهها تعلوه المساحيق، وفمها مصبوغًا باللون القرمزي الصارخ، حتى أني لم أتمالك أن عجبت كيف تسر زوجة الرجل بلقاء امرأة مثلها..

وقد سمعتهم من مكاني يتبادلون الحديث عن السباحة.. فكان الزوج الذي سمعت أن اسمه "**دنيس**" يفكر في استئجار قارب، والطواف به حول الشاطئ حيث يوجد كهف شهير يستحق المشاهدة.. وكانت "**كارول**" تريد مشاهدة الكهف أيضًا، ولكنها فكرت في أن تسير على امتداد الشاطئ الصخري لكي تشهد الكهف من ناحية البحر، نظرًا إلى كراهيتها للبحر.. وفي النهاية تم الاتفاق بينهم على أن تسير "**كارول**" على امتداد الشاطئ لكي تقابلهما عند الكهف، في حين يستقل "**دنيس**" و "**مرجريت**" القارب ويقابلانها هناك..

وقد أثار حديثهم عن السباحة شوقي إليها.. وكان الصباح حارًّا، ولم أكن موفقة في الرسم، وقدرت أنني أستطيع في ضوء الشمس وقت العصر أن أجيد عملي. وهكذا طويت أدواتي، وقصدت إلى بقعة على الشاطئ كنت قد اخترتها لنفسي من قبل، وكانت في الناحية المواجهة لموقع الكهف.. وبعد استمتاعي بالسباحة، تناولت غداء خفيفًا ثم عدت وقت العصر مجددَةَ النشاط والحماسة لاستئناف رسم لوحتي.

واخترت بقعة أمام الفندق كانت لأشعة الشمس فيها ظلال رائعة تجعل مشهد الفندق كلوحة فنية آية في الروعة.. وقد استنتجت أن فريق السباحة الثلاثي عاد من الرحلة بأمان؛ لأني رأيت ردائيْ استحمام منشوريْن في الشرفة لكي يجفًا، أحدهما قرمزي والثاني أزرق قاتم..

وفي أثناء انهماكي في الرسم رفعت رأسي فجأة، ولمحت شخصا مستندا إلى أحد الأعمدة عند مدخل الفندق، وكأنه ظهر في مكانه بسحر ساحر.. وكان يرتدي ملابس رجال البحر، ولعله أحد الصيادين، لكن كانت له لحية طويلة سوداء ذكرتني بالقراصنة الإسبان.. كان مشهده فريدا في الواقع، حتى لم أتمالك أن أدخلته في دائرة اللوحة وجعلت أرسم بحماسة منقطعة النظير قبل أن يغير وقفته تلك ثم تحرك الرجل أخيرا، ولكن بعد أن فرغت من رسم وقفته.. وتقدم إلى ناحيتي وبادرني بالحديث قائلا:

– إن قرية "**راشهول**" مكان جذاب فعلا.

ومع أنني أمَّنت على كلامه، إلا أنني مضيت في إتمام الرسم بهمَّة مضاعفة.. وهو يقص عليَّ قصة تدمير القرية على أيدي الإسبان وما سال فيها من دماء.. والغريب أنني انفعلت بكلام الرجل حتى وجدتني قد رسمت شيئا لم يكن موجودا أمام ساحة الفندق.. رسمت دماء تسيل في الطريق.. وعجبت كيف غلبني الخيال حتى سجلت فرشاتي شيئا لم تبصره عيناي.. ولكنني عندما اتجهت بنظري إلى ناحية الفندق مرة ثانية تلقيت صدمة جديدة.. فإن يدي كانت قد سجلت ما رأته عيناي فعلا.. وهو بقع من الدم على أرضية الحارة البيضاء..

أخذت أحدق فترة.. ثم أغمضت عينيَّ وأنا أقول لنفسي: "لا تكوني بلهاء.. ليس هناك شيء في الواقع"، وفتحت عينيَّ. ولكن بقع الدم كانت لا تزال موجودة.. شعرت بأنني لن أحتمل هذا.. فقاطعت الصياد الذي كان ماضيا في ثرثرته عن اعتداءات الإسبان الماضية على القرية والدماء التي سفكوها، وقلت له:

– قل لي.. إن نظري ليس على ما يرام.. هل هذه بقع دم على البلاط هناك؟

فنظر الرجل إليَّ في وداعة قائلا:

– لا دماء في هذه الأيام يا سيدتي.. إن ما قلته لك قد حدث منذ خمسمائة سنة.

– نعم.. لكن الآن.. على بلاط الحارة..

وتوقفت الكلمات على لساني. وفي هذه اللحظة رأيت الشاب الذي جاء في السيارة في ذلك اليوم يخرج من الفندق، ووقف يتطلع حواليه تعلو وجهه أمارات الحيرة. ثم خرجت زوجته إلى الشرفة التي وقف تحتها، وجمعت ملابس السباحة.. وقد سار الشاب إلى ناحية السيارة، ولكنه استدار فجأة وجاء إلى ناحية الصياد، وقال له:

– قل لي يا صاحبي.. هل تعرف ما إذا كانت السيدة التي جاءت في السيارة الأخرى الواقفة هناك قد رجعت إلى الفندق..؟

– السيدة ذات الفستان (المشجر).. لا يا سيدي. إنني لم أرها.. إنها ذهبت صباح اليوم من ناحية الصخور في اتجاه الكهف..

– أعرف.. أعرف أننا سبحنا كلنا هناك معًا، ثم تركتنا عائدة، ولم أرها بعد ذلك.. لا يمكن أن تستغرق كل هذا الوقت.. إن الصخور ليست خطرة، أليس كذلك؟

– المسألة تتوقف على الطريق الذي تسلكه.. إن أفضل طريقة هي أن تصاحب شخصًا يعرف المكان.. وكان الصياد يقصد شخصه بالتأكيد، وراح يتوسع في هذه النقطة، ولكن الشاب قاطعه بغير مجاملة، وأسرع عائداً إلى الفندق، ونادى زوجته في الشرفة قائلا:

– اسمعي يا "**مرجريت**".. إن "**كارول**" لم تعد.. غريب هذا فعلا.. ولم أستطع أن أسمع رد "**مرجريت**".. ولكن زوجها أضاف قائلا:

– على أي حال لا يمكننا الانتظار أكثر من هذا، لابد لنا من أن نتابع السير إلى "**بنريثار**".. هل أنت مستعدة؟ سأدير محرك السيارة.

وفعل هذا.. وبعد قليل مضت بهما السيارة مبتعدة، وجمعت أدوات الرسم،

وذهبت إلى الفندق الصغير، وأخذت أفحص بلاط الحارة بأمان.. لم تكن هناك بقع دم بالتأكيد.. كان ما رأيته لونا من خداع البصر والخيال، ومع ذلك لم أشعر بالراحة والسكينة. وفي وقفتي هذه سمعت صوت الصياد من كثب يقول وهو يتفرس فيَّ بصورة غريبة:

– هل ظننت يا سيدتي أنك رأيت بقع دم هناك؟ ولما أومأت إيجابا قال الصياد:

– هذا شيء غريب.. غريب جداً.. عندنا عرافة هنا تقول إنه إذا شاهد أحد تلك البقع الدموية يقع حادث وفاة في خلال أربع وعشرين ساعة.. شعرت بقشعريرة في جسدي.. في حين مضى الصياد يقول:

– هناك لوحة أثرية في الكنيسة عن وفاة.. ولكنني شكرته بحزم، ودرت على عقبي عائدة إلى الكشك الذي استأجرته.. وما كدت أصل إليه حتى لمحت على البعد المرأة المدعوة "**كارول**" آتية في طريق الممر الصخري.. كانت مسرعة في سيرها.. وبدا لي مشهدها في ظلال الصخور القاتمة أقرب إلى زهرة قرمزية سامة.. وكانت قبعتها بلون الدم..

لكنني انتزعت نفسي من هذه الأوهام بقوة.. لا شك في أن الدم قد سيطر على خيالي وحواسي.. ثم سمعت فيما بعد صوت سيارتها، وتساءلت ترى هل هي ذاهبة إلى "**بنريثار**" أيضًا؟ لكنها سلكت الطريق اليساري في الجهة المقابلة.. ووقفت أراقب السيارة تزحف صاعدة في طريق التل حتى غابت عن نظري.. فلم أتمالك أن تنفست الصعداء؛ إذ عاد الهدوء إلى القرية من جديد.. وعندما توقفت "**جويس**" عند هذا الحد من القصة قال "**ريمو ند ويست**":

– إذا كان هذا هو كل شيء، فإنني سأصدر حكمي في القصة فورا.. المسألة لم تكن بالنسبة إليك يا "**جويس**" سوى عسر هضم وظهور بقع أمام العينين بعد الوجبات.. فتجاهلت "**جويس**" هذا الأسلوب التهكمي واستطردت تقول:

– لم تنته القصة بعد، ولابد من أن تسمعوا البقية... إنني قرأت في الصحف بعد يومين اثنين مقالة تحت عنوان: (حادث محزن بسبب السباحة)... وجاء في المقال أن السيدة "**داكر**" زوجة الكابتن "**دنيس داكر**" غرقت في البحر عند كهف "**لانديز**" على مسافة من الشاطئ.. وكانت قد نزلت مع زوجها في الفندق هناك وقتها، ونزلا إلى البحر للاستحمام، لكن هبت رياح باردة، فخرج الكابتن "**داكر**" من البحر بسبب برودة الجو، وذهب مع بعض النازلين في الفندق للعب الجولف في الملعب القريب، أما زوجته فقد قالت إن الطقس محتمل بالنسبة إليها، وقصدت وحدها إلى الكهف... ولما لم تعد فقد انزعج زوجها، وذهب مع رفاقه يبحثون عنها لدى الشاطئ.. فوجدوا ملابسها قرب إحدى الصخور، ولكنهم لم يعثروا على أثر للسيدة المنكودة... ولم تظهر جثتها إلا بعد حوالي أسبوع، عندما قذفتها الأمواج إلى الشاطئ... وقد وُجِدَ برأسها أثر ضربة حدثت قبل الوفاة، وكان الرأي السائد هو أن رأسها اصطدم بصخرة تحت الماء وهي تقفز للغطس... وحسب تقديري فإن الوفاة لابد من أنها قد حدثت بعد حوالي أربع وعشرين ساعة من وقت رؤية بقع الدم التي ذكرت لكم أمرها... وهنا قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق:

– إنني أعترض... ليست هذه قضية بوليسية، إنها قصة من قصص العفاريت والأشباح... والظاهر أن الآنسة "**جويس**" أصبحت وسيطة!

ولما لم تجد "**جويس**" بين الموجودين من يناصرها، التفتت في النهاية إلى الآنسة "**ماربل**" مستنجدة.. فابتسمت السيدة العجوز الوقورة قائلة:

– إنني أنظر إلى الموضوع من زاوية معينة... هي زاوية الملابس... وليس من العدل يا عزيزتي "**جويس**" أن تطرحي قضية تتعلق بالملابس النسائية على الرجال، خصوصا وأن تغيير الملابس بسرعة وبطريقة متعاقبة كان له تأثير كبير في

القضية... يا لها من امرأة قاسية شديدة! ويا له من رجل أشد قسوة وشرًا!

فحدقت إليها "**جويس**":

- يا آنسة "**ماربل**". فقالت الآنسة "**ماربل**":

- إنها يا عزيزتي أسهل بالنسبة إليّ وأنا جالسة هنا مستريحة أكثر مما كانت لك وأنت فنانة عرضة للتأثر بالجو من حولك... أليس كذلك؟ إن جلوسي هنا، وأنا أشتغل بإبرتي يمكّنني من رؤية الحقائق... إن بقع الدماء سقطت على البلاط من رداء السباحة المعلق في الشرفة، ونظرًا إلى أن رداء السباحة كان أحمر اللون، فإن الجناة أنفسهم لم يدركوا بالتأكيد أن هناك بقعَ دماء... مساكين! وهنا قال السيد "**هنري**":

- معذرة يا آنسة "**ماربل**"... لكن هل تعرفين أنني مازلت في ظلام؟ يبدو أنك أنت والآنسة "**جويس**" تعرفان من المقصود، ولكننا - معشر الرجال- مازلنا في ظلام مطبق... فقالت "**جويس**":

- سوف أخبركم بنهاية القصة.. فقد حدث بعد ذلك بسنة أنني كنت في أحد المصايف البحرية الصغيرة منشغلة برسم اللوحات، عندما استرعى نظري شيء خيِّل إليّ أنه تكرر أمامي من قبل... فقد رأيت شخصين، رجلا وامرأة، يقفان على الرصيف أمامي ويسلمان على شخص ثالث، كانت امرأة ترتدي فستانا به ورد قرمزي فاقع... وسمعت الرجل يقول لهذه المرأة: ("**كارول**"؟ يا للمصادفة السعيدة... تصوري أننا نتقابل هنا بعد كل هذه السنين! أنت لا تعرفين زوجتي؟ يا "**جوان**"، هذه صديقة قديمة من أصدقائي، الآنسة "**هاردنج**"...) وفي الحال عرفت الرجل... كان "**دنيس**" نفسه الذي التقيت به في فندق "**راشهول**".. أما زوجته فكانت مختلفة... أعني أنها كانت "**جوان**" بدلا من "**مرجريت**"، ولكنها كانت تماثلها في صغر السن والسذاجة... وبدا لي وقتها أنني سوف أجن! فقد

أخذ الثلاثة يتكلمون عن رغبتهم في السباحة! وأقول لكم ماذا فعلت وقتها.. فقد اتجهت إلى مركز البوليس مباشرة غير عابئة بما قد يبدو لهم من جنوني ومن حسن الحظ أنني أحسنت صنعا بذهابي إلى البوليس... فقد وجدت هناك واحدا من رجال "**اسكتلنديارد**"، وكان قد جاء من أجل هذه المسألة بالذات... والظاهر أن البوليس كان قد ارتاب في أمر "**دنيس داكر**"... وتبين أن هذا الاسم لم يكن اسمه الحقيقي، فإنه كان يتخذ أسماء مختلفة لكل مناسبة.. واتضح أنه كان يتعرف إلى الفتيات، لكن غالبًا من النوع الهادئ الساذج الذي ليس له أصدقاء ولا أقارب كثيرون... وكان يتزوجهن ويقوم بالتامين على حياتهن نظير مبالغ كبيرة... وبعد ذلك... أواه! ... يا للفظاعة! إن المرأة المدعوة "**كارول**" كانت زوجته الحقيقية، وكانا يقومان دائما بتنفيذ العملية نفسها.. وهذا هو ما سهَّل للبوليس ضبطه... فإن شركات التامين بدأت تشك في الأمر.. وكان يختار أحد المصايف الصغيرة الهادئة مع زوجته الجديدة، ثم لا تلبث المرأة الأخرى أن تظهر فجأة، ويذهب الثلاثة للاستحمام في البحر معًا... وعندئذ تُقتل الزوجة، فتقوم "**كارول**" بارتداء ملابسها وتعود معه في القارب إلى الفندق... وبعد ذلك يغادران المكان بعد السؤال عن "**كارول**" المزعومة، وعندما يصبحان خارج القرية تسارع "**كارول**" بارتداء ملابسها الخاصة المشجرة، وتصبغ شفتيها باللون الأحمر القرمزي وتعود إلى فندقها ثم تواصل رحلتها في سيارتها الخاصة... وبعد ذلك يبحثان عن اتجاه تيارات البحر حيث تكتشف الوفاة المزعومة عند نقطة الاستحمام التالية على امتداد الشاطئ... ذلك أن "**كارول**" كانت تلعب دور الزوجة وتختار نقطة منعزلة على الشاطئ حيث تترك ملابس الزوجة هناك قرب إحدى الصخور، ثم تبتعد وهي مرتدية ملابسها المشجرة، وتنتظر بهدوء إلى أن ينضم إليها زوجها...

وأظن أنهما عندما قتلا "**مرجريت**" المسكينة فإن بعض الدم كان قد انبثق فوق رداء استحمام "**كارول**"، ونظراً إلى لونه الأحمر فإنهما لم يفطنا إلى ذلك، كما أشارت الآنسة "**ماربل**" إلى هذا... ولكنهما عندما علقاه في الشرفة لكي يجف، تساقطت منه بقع الدم.. بالتأكيد... إن الصورة مازالت ماثلة أمام عينيٍّ... قالت الآنسة "**جويس**" هذه الكلمات وهي ترتعد... فقال السيد "**هنري**":

– نعم... تذكرت الآن هذه القصة.. إن اسم الرجل الحقيقي كان "**ديفيس**"... وقد غاب عن ذاكرتي أن لقب "**داكر**" كان أحد أسمائه المستعارة... إن الاثنين كانا في منتهى المكر... وكان من بواعث الدهشة حقًّا أن أحدا لم ينتبه لتغيير الشخصية... وأظن أن معرفة الملابس أسهل من معرفة الوجوه، كما أشارت الآنسة "**ماربل**"... لكنها كانت خطة بارعة إلى حد بعيد، فعلى الرغم من أننا شككنا في أمر "**ديفيس**" هذا، إلا أننا لم نستطع إثبات الجريمة ضده لشدة احتياطه في انتحال شخصيات يستطيع إثبات وجودها بعيداً عن مكان الجريمة. وعند ذلك التفت "**ريموند**" إلى الآنسة "**ماربل**"، وقال لها مستغربا:

– قولي لي يا عمتي، كيف تتوصلين إلى استنتاجاتك الرائعة؟ إنك عشت حياة هادئة في الريف، ومع ذلك لا أرى أي حادث أدهشك! فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إنني أجد دائما أن الحوادث تتشابه في هذه الدنيا... فهناك مثلا السيدة "**جرين**" التي دفنت خمسة أطفال، وكان كل منهم مؤمَّنا على حياته... وطبيعي أن الاشتباه يحدث في مثل هذه الحالات... ثم هزت رأسها، وأضافت قائلة:

– هناك قدر كبير من القسوة والشر في حياة الريف ذاتها... ولعلكم ستدركون يوما ما أيها الشباب أن الدنيا مليئة بالقسوة والشر...

الوصية

أهم الشخصيات :

- المحامي "**باتريك**" : راوي القصة .
- السيد "**سيمون كلود**" : ثري قُتل ابنه الوحيد في الحرب .
- "**جريس كلود**" : ابنة أخ "**سيمون**" تعيش مع عمها .
- "**ماري كلود**" : ابنة أخ "**سيمون**" تعيش مع عمها .
- "**فيليب جارود**" : صيدلي . زوج "**جريس**" .
- "**بوراديس سبراج**" : وسيطة روحية أمريكية .
- "**ألسالوم سبراج**" : زوج "**بوراديس**" .
- "**إيما جونت**" : وصيفة السيد "**سيمون**" .
- "**جورج كلود**" : ابن أخ السيد "**سيمون**" يعمل في منطقة بعيدة .

الوصية

تنحنح المحامي "**باتريك**"، وبدأ حديثه لأعضاء الندوة قائلا:

- ربما كانت قصتي هذه متواضعة بالقياس إلى قصصكم الشائقة، ولكنها على الرغم من ذلك محبوكة العقدة، ومن حسن الحظ أنني أعرف حلها الصحيح...
فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تهز إبرة التطريز في وجهه بين ابتسام أعضاء الندوة الليلية التي رأيناها في القصص السابقة:

- لا نريد ألغازا قانونية تتوه العقول في فهمها! فطمأنها المحامي، وبدأ حديثه قائلا:

- هناك قصة أحد موكليَّ، وسوف أسميه "**سيمون كلود**"... وكان رجلا واسع الثراء، يقطن في بيت كبير لا يبعد عن منطقتنا كثيرا... وكان له ابن وحيد قتل في الحرب، تاركا طفلة صغيرة توفيت أمها لدى مولدها، وجاءت الطفلة للإقامة عند جدها الذي تعلق بها إلى أبعد الحدود... ولا يمكنني أن أصف لكم حزن الرجل وتفجعه عندما أصيبت الحفيدة الصغيرة "**كريس**" بالتهاب رئوي أودى بحياتها الغضة...

وكان لـ"**سيمون كلود**" المسكين أخ توفي حديثا في ظروف منكودة، فاستقدم "**سيمون كلود**" أبناء أخيه للإقامة في بيته، وكانوا بنتين هما "**جريس**" و "**ماري**"، وولدا هو "**جورج**"... وعلى الرغم من أن الرجل المسن كان عطوفا وسخيًّا حيال أبناء أخيه، إلا أنه لم يسبغ عليهم تلك المحبة الخالصة التي كان يختص بها حفيدته الصغيرة... وعلى أي حال فإنه هيأ عملا لـ"**جورج**" في بنك قريب، وتزوجت "**جريس**" صيدليا نابغا يدعى "**فيليب جارود**"، أما "**ماري**" التي كانت معروفة بالهدوء والانطواء فقد أقامت في البيت ترعى عمها... وظلت الأمور تسير حينا

على هذا النحو الهادئ.. ويحسن بي أن أضيف إلى هذا أن "**سيمون كلود**" جاءني بعد وفاة حفيدته الصغيرة، وكلفني بإعداد وصية جديدة تقضي بأن تؤول ثروته الكبيرة إلى أبناء أخيه، بنسبة الثلث لكل منهم... وتتابعت الأيام على هذا النحو، إلى أن التقيت ذات يوم بـ "**جورج كلود**" واستفسرت منه عن عمه الذي لم أكن قد رأيته منذ مدة... وشد ما كانت دهشتي عندما قال لي الشاب مستاء:

– ليتك تستطيع أن ترد الصواب إلى عمي "**سيمون**"... إن مسألة تحضير الأرواح تزيد حاله من سيئ إلى أسوأ... وأخبرني الشاب بالقصة... فقال إن عمه بدأ يهتم بهذه المسألة، إلى أن التقى بوسيطة أمريكية تدعى السيدة "**بوراديس سبراج**"، استطاعت ان تتسلط عليه.. وأخذت تتردد على البيت حتى أصبحت إقامتها فيه شبه دائمة، وكانت تعقد جلسات تحضير الأرواح لاستحضار روح الحفيدة "**كريس**" التي كان الجد مفتونا بها إلى حد الهوس...

ومع أنني من المحايدين في موضوع تحضير الأرواح، إلا أن ما سمعته من "**جورج كلود**" جعلني أعتقد أن السيدة "**بوراديس سبراج**" هذه محتالة مخادعة إلى أقصى حد، وأن الرجل العجوز على الرغم من دهائه في مسائل الأعمال والمال إلا أنه فريسة سهلة لأمثالها بسبب افتتانه بحفيدته الميتة..

– وعندما قلّبت الأمر على مختلف وجوهه، أيقنت أن تأثير السيدة "**سبراج**" في العم العجوز قد يؤدي في النهاية إلى الإضرار بأبناء أخيه... وهكذا تذرعت بأول فرصة، وقمت بزيارة "**سيمون كلود**"... فوجدت السيدة "**سبراج**" متربعة في البيت ضيفة عزيزة مكرمة... وما كاد نظري يقع عليها حتى تحققت كل مخاوفي... كانت امرأة قوية البنية في متوسط العمر، ترتدي ملابس زاهية... ووجدتها تحشو كلامها بالحديث عن أعزائنا الذين فارقونا إلى غير ذلك من العبارات المنتقاة...

وكان لها زوج يقيم معها في المنزل يدعى "**ألسالوم سبراج**"، وهو رجل نحيل، كالح الوجه، زئبقي النظرات... وقد انتهزت أول فرصة سانحة فانفردت بـ "**سيمون كلود**"، وفاتحته في الموضوع بحذر، فوجدته ممتلئا حماسة... قال إن "**بوراديس سبراج**" أعجوبة، أرسلتها إليه السماء استجابة لدعواته... وهي لا تبحث عن المال، وإنما كل سعادتها ومتعتها أن تخفف الحزن عن قلب مظلوم! وقد بدأ ينظر إليها كابنة له... ثم انتقل من ذلك إلى التفاصيل... فراح يشرح لي كيف سمع صوت حفيدته "**كريس**" وهي تتكلم، وكيف أنها سعيدة بوجودها مع أبويها، بل كيف أن الأب والأم أصبحا يحبان السيدة "**سبراج**" العزيزة! ولما سألته عمّا إذا كان مطمئنا إلى السيدة "**سبراج**" هذه، راح يدافع عنها بحرارة وقوة... وفي النهاية انصرفت من عنده وأنا غير مرتاح بتاتًا، ولا أعرف كيف أتصرف..

وبعد طول تفكير وتدبر كتبت إلى "**فيليب جارود**" زوج بنت أخيه كما تقدم، وشرحت له القصة، مبينا خطر سيطرة مثل هذه الدجالة على تفكير العجوز ومشاعره، واقترحت عليه أن يتصل بعم زوجته، وأن يستعين إذا أمكن بإخصائي من الموثوق بهم في المسائل الروحانية...

وكان "**جارود**" سريعًا في الاستجابة... فقد رأى ما لم أره، وهو أن الرجل العجوز في حالة صحيَّة دقيقة، وأدرك أنه لا يمكن أن يترك الأمور على ما هي عليه، وإلا حرمت زوجته وأختها وأخيهما من الميراث الذي هو حقهم الشرعي... وفي غضون أسبوع زار عم زوجته بصحبة الأستاذ "**لونجمان**" العالم والمتخصص في الروحانيات، وكان حجة في هذا المجال وشخصية محترمة... ولكن النتيجة كانت مؤسفة... فإن العالم الروحاني لم يستطع بعد جلستين أن يجزم بشيء قاطع وإن أشار على "**جارود**" في رسالة له باستقدام وسيطة أخرى من الموثوق بهن.

والواقع أن "**سيمون كلود**" لم يكد يطلع على هذه الرسالة حتى استشاط غضبًا،

وقال إن هذه مؤامرة للإساءة إلى السيدة "**سبراج**" التي يعدها قديسة.. فإنها جاءت إليه في أحلك ساعات حياته، ومنحته السلوى والراحة، وأنه مستعد لمخاصمة أهل البيت جميعًا تمسكا بهذه التي يعدها أغلى من اي إنسان في الدنيا كلها!

وبتاثير هذه القضية تاثرت صحة العجوز، وتدهورت حالته حتى لم يعد يفارق الفراش... وقد حدث بعد يومين من رحيل "**جارود**" أن تلقيت دعوة عاجلة من "**سيمون كلود**" لمقابلته، فاسرعت إليه، حيث وجدته قد اشتد به المرض فعلا... وقد قال لي وهو يلهث:

- أشعر بأن نهايتي قريبة يا "**باتريك**" ولكنني أريد قبل أن أموت أن أقوم بواجبي نحو المخلوق الوحيد الذي منحني من الفضل ما لم يمنحه أي إنسان آخر في الدنيا... أريد إعداد وصية جديدة... فقلت له:

- بالتأكيد... إذا أعطيتني تعليماتك الآن قمت بإعداد الوصية التي تريدها وإرسالها إليك... فقال العجوز:

- هذا لا يجدي وكيف تقول هذا يا رجل وقد لا أعيش سواد هذه الليلة؟! إنني كتبت هنا ما أريد، ويمكنك أن تقول لي ما إذا كان سليمًا... وأخرج من تحت الوسادة قصاصة ورق مكتوبة بالقلم الرصاص، أوصى فيها بمنح مبلغ خمسة آلاف جنيه لكل من ابنتي وابن أخيه، وتخصيص باقي الثروة الطائلة لـ "**بوراديس سبراج**" امتنانا وتقديرا!

لم أسترح لهذا... لكن كان هو الواقع... ولم يكن ثمة مجال لاتهامه بخلل في قواه العقلية، فقد كان سليم العقل، كأي إنسان من هذه الناحية... ولم يلبث "**سيمون كلود**" أن ضغط على الجرس، واستدعى اثنين من الخدم هما "**إيما جونت**" وصيفته الخاصة التي كانت في خدمته مدة طويلة وتفانت في تمريضه،

والطاهية "**لوسي**"... وقد بادرهما "**سيمون**" قائلا وهو يحدجهما بنظراته الحادة:

– أريد أن تشهدا على وصيتي... هاتي قلمي الحبر يا "**إيما**".. فاطاعت "**إيما**"، وتقدمت إلى المكتب... ولكنه استوقفها قائلا:

– ليس الدرج الأيسر يا بنت... الا تعرفين ان القلم في الدرج الأيمن؟ فقالت "**إيما**" وهي تبرز القلم:

– لا... إن القلم هنا يا سيدي... فقال العجوز متأففا:

– إذن لابد من أن تكوني قد وضعته خطأ في المرة الأخيرة.. إنني لا أطيق وضع الأشياء في غير مكانها الصحيح! وأخذ القلم ونسخ الوصية في ورقة أخرى بمساعدتي وتنقيحي، ثم وقع عليها بإمضائه... وقد وقعت أيضًا كل من "**إيما جونت**" والطاهية "**لوسي**"... وبعد ذلك طوى الوصية ووضعها في ظرف مستطيل أزرق... وقبل أن نبارح الغرفة قال لي باسمًا على الرغم من شدة إعيائه:

– سأموت الآن مرتاح البال بعد أن فعلت ما كنت أبغي. ونظرت إليّ "**إيما جونت**" مستطلعة، كأنما تستفهم عما إذا كان يمكنها أن تترك الغرفة، فأومأت إليها أطمئنها وخرجت لكن بعد أن انحنت والتقطت الظرف الأزرق الذي سقط مني في أثناء انشغالي وردته إليّ، فوضعته في جيبي وخرجت هي على الأثر... ونظر إليّ "**سيمون كلود**" بعد انصراف الوصيفة قائلا:

– أراك مستاء يا "**باتريك**"... انت متحيز متحامل مثل غيرك! فقلت له:

– المسألة ليست مسألة تحامل او تحيز... إنني لا أعارض في أن تهب السيدة "**سبراج**" منحة مناسبة اعترافًا منك بجميلها... لكنني أقول لك صراحة يا "**كلود**" إن حرمان من هم من دمك ولحمك من الميراث إيثارا لإنسانة غريبة عنك هو عمل خاطئ... وخرجت من الغرفة بعد أن سجلت احتجاجي على هذا التصرف. وخرجت "**ماري كلود**" من غرفة الجلوس، وقابلتني في القاعة قائلة:

– هلا شربت الشاي قبل انصرافك؟ تعال معي... وقادتني إلى غرفة الجلوس، حيث كانت المدفأة موقدة ترسل دفئا مغريا... فساعدتني على خلع معطفي حين دخل أخوها "جورج" إلى الغرفة، فأخذ المعطف ووضعه فوق مقعد في أقصى الغرفة، ثم انضم إلينا قرب المدفأة حيث جلسنا نشرب الشاي... وفي أثناء الحديث أثار "جورج" نقطة متعلقة بالأملاك كان عمه قد كلفه ببحثها، ولكن لم يكن مرتاحا للقيام بهذه المهمة، واستطلع رأيي بصددها، فانتقلنا بعد الشاي إلى غرفة المكتب للاطلاع على الأوراق الخاصة بالموضوع، وصحبتنا "ماري" لهذا الغرض...

وبعد ربع ساعة تأهبت للانصراف... ولما تذكرت أنني نسيت معطفي في غرفة الجلوس مضيت إليها لآخذه... فوجدت في الغرفة السيدة "سبراج" وحدها، وكانت منحنية على الأرض قرب المقعد الذي تركت معطفي فوقه، وبدت كأنما تفعل شيئًا في كسوة المقعد... وما إن دخلت عليها حتى نهضت وقد احمر وجهها... وقالت بلهجة من يشكو من شيء:

– إن هذه الكسوة غير سليمة! وفي إمكاني أن أصنع واحدة أفضل منها... ومهما يكن فقد تناولت المعطف وارتديته... وفي أثناء ذلك لاحظت أن الظرف الأزرق المحتوي على الوصية كان قد سقط من جيبي، ورأيته ملقى على الأرض... أعدته إلى جيب المعطف، وسلمت، وانصرفت.. وسأصف لكم بدقة ما فعلته في المكتب عند وصولي إليه... فقد خلعت المعطف، وأخذت الوصية من جيبه... وكان هناك من يطلبني بالتليفون، وأن وصلة التليفون في المكتب معطلة... فذهبت إلى المكتب الخارجي حيث بقيت حوالي خمس دقائق منهمكا في الحديث التليفوني... وعندما خرجت وجدت الكاتب ينتظرني قائلا:

– إن السيد "سبراج" جاء لمقابلتك يا سيدي.. فأدخلته مكتبك، فعدت إلى

غرفة مكتبي حيث وجدت السيد "**سبراج**" جالسا قرب الطاولة... وبعد التحية والمقدمات أخذ يتحدث عن زوجته وعن نفسه بإفاضة، مؤكداً على استقامتها وبعدهما عن كل مأرب، فاستمعت إليه بفتور، وانصرف في النهاية شاعراً بأنه فشل في مهمته... ولما تذكرت أنني تركت الظرف على الطاولة أخذته وختمته بالشمع، ووضعته في خزانتي. وتمهل المحامي "**باتريك**" برهة، ثم استطرد يقول:

– والآن أصل إلى عقدة القصة... لم ينقض شهران على ذلك حتى توفي "**سيمون كلود**"... ولن أفيض في الكلام عمّا حدث بعد ذلك، ولكنني أجترئ فأقول إننا عندما فتحنا الظرف الأزرق المحتوي على الوصية وجدناه يحتوى على ورقة بيضاء! وتوقف المحامي... وأخذ يتفرس في وجوه الضيوف حوله بنظرات لا تخلو من الاستمتاع... ثم استطرد قائلا:

– إنكم تقدرون هذه النقطة بالتأكيد؟ لقد وضعت الظرف المختوم بالشمع في خزانتي منذ شهرين.. ولم يكن من الممكن أن يعبث به أحد في أثناء ذلك... والآن، من يمكن أن تكون الفرصة قد سنحت له لذلك؟ ومن الذي كانت له مصلحة في أن يفعل هذا؟ هذه هي المعضلة التي أطرحها عليكم.. ويسرني أن أستمع إلى آرائكم... وشد ما كانت دهشتهم جميعا عندما سمعوا الآنسة "**ماربل**" تضحك ضحكة طويلة ممطوطة، وكأن شيئا كان يثير التفكه عندها إلى أبعد حد... فقال ابن أخيها "**ريموند**":

– ماذا جرى يا عمتي؟ ألا يمكن أن نشاركك هذه الفكاهة؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– هذا شرك من جانب المحامي يريد أن يوقعنا به في المصيدة... أليس كذلك يا سيدي المحامي العزيز؟ فقال المحامي وقد لمعت عيناه:

– تُرى هل توصلت إلى شخصية الفاعل؟ فكتبت الآنسة "**ماربل**" بضع كلمات

في قصاصة ورق وطوتها، وناولتها إلى المحامي... فبسط "**باتريك**" الورقة، وقرأ ما كتب فيها، ثم تطلع إلى الآنسة "**ماربل**" بنظرات بان فيها الإعجاب، وقال لها:

– عجبا لك يا صديقتي العزيزة... هل هناك شيء يمكن أن يخفى عليك؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– إنني عرفت العقدة منذ كنت طفلة صغيرة... وقد كنت أتسلى بهذه اللعبة شخصيًّا! وهنا قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق:

– يظهر أن مثل هذه القصة بعيدة عن اختصاصي... والظاهر أن السيد "**باتريك**" يخبئ لنا عقدة قانونية طريفة! فقال المحامي:

– العفو.. العفو.. إنها فكرة قومية لا أحابيك فيها... لا تلقوا بالكم إلى ما تقوله الآنسة "**ماربل**"... فإنها تنظر إلى الأمور بطريقتها الخاصة... فقال "**ريموند**" بشيء من الامتعاض:

– في مقدورنا أن نصل إلى الحقيقة... إن عناصر الموضوع ظاهرة البساطة... إن خمسة أشخاص تداولوا ذلك الظرف.. فالواضح من بيانات المحامي أن "**سبراج**" وزوجته كان بإمكانهما العبث بالظرف، ولكن الواضح كذلك أنهما لم يفعلا هذا؛ لأنه لا مصلحة لهما في العبث بالوصية التي غُيرت لمصلحتهما.. ويبقى بعد ذلك ثلاثة أشخاص هم "**ماري**"، وأخوها "**جورج**"، والوصيفة "**إيما جونت**".. وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية خفة اليد، وما يفعله الحواة أمام نظر الإنسان، فمن السهل على "**جورج**" أن ينتزع الوصية من الظرف، ويستبدل بها أخرى في الفترة التي حمل فيها المعطف إلى أقصى ركن في الغرفة... وقالت "**جويس**":

– أما أنا فأظن أن "**ماري**" هي التي فعلت ذلك... في تقديري أن الوصيفة أسرعت إليها وأخبرتها بما يدور، وأخذت منها ظرفًا أزرق آخر، واستبدلته بالظرف الأصلي... أما السيد "**هنري**" فقد هز رأسه قائلا:

– إنني أختلف معكما في الرأي... إن الحواة يفعلون ما أشار إليه "**ريموند**" على المسرح وفي الروايات فقط، أما في الحياة الواقعية فإن شيئا مثل هذا مستحيل، خصوصا تحت نظر شخصية حريصة مثل صديقنا الأستاذ "**باتريك**" المحامي الفطن... وعندي فكرة، وهي ليست سوى فكرة لا أكثر.. نحن نعرف أن المحامي استدعى الأستاذ "**لونجمان**" عالم الروحانيات، وأن هذا لم يتكلم كثيرا، ولم يفصح عن وجهة نظره بصراحة.. ومن المعقول أن تؤدي هذه الزيارة إلى إثارة قلق ومخاوف السيدة "**سبراج**" وزوجها، خصوصًا إذا كان "**سيمون كلود**" لم يكاشفهما بأمرها، مما جعلهما ينظران إلى الموضوع من زاوية أخرى... فربما كانا يعتقدان أن "**سيمون كلود**" أعد من قبل وصية تفيد منها "**بوراديس سبراج**"، وأن هذه الوصية الجديدة قد تؤدي إلى حرمانها من كل شيء نتيجة لتأثير "**فيليب جارود**" فيه، باعتبار أن أبناء أخيه أقرب الناس إليه رحمًا... وفي هذه الحالة تحاول السيدة "**سبراج**" استبدال الوصية وفي أثناء هذه المحاولة فاجأها المحامي بعودته إلى الغرفة، فلم يتح لها وقت لقراءة الوصية الحقيقية، وأسرعت بحرقها قبل أن يكتشف المحامي ضياعها... ولكن "**جويس**" هزت رأسها بهدوء قائلة:

– إنها ما كانت لتحرقها أبدا قبل قراءتها.. فقال السيد "**هنري**":

– إني معك في أن نظريتي ضعيفة فعلا... ما رأيك أنت يا دكتور "**بندار**"؟

فراح القس العجوز يقول:

– ليست عندي أفكار واضحة في هذا الشأن، وإن كنت أظن أن استبدال الوصية قد تم بمعرفة السيدة "**سبراج**" أو زوجها، للسبب الذي أشار إليه السيد "**هنري**"... وإذا كانت لم تقرأ الوصية إلا بعد انصراف السيد "**باتريك**" فقد وجدت نفسها في ورطة؛ إذ ما كانت لتستطيع أن تعترف بفعلتها... وربما عمدت عندئذ إلى وضع الوصية بين أوراق السيد "**سيمون كلود**" لكي يُعثر عليها بين

أوراقه بعد وفاته... أما كيف لم يوجد للوصية أثر فهذا ما لا أعرف له جوابا...
ولا يبعد أن الوصيفة "**إيما جونت**" عثرت على الوصية مصادفة، وعمدت إلى أن تستبدل بها ورقة بيضاء شفقة على أبناء شقيق العجوز... فقالت "**جويس**" :

– أظن أن نظرية الدكتور "**بندار**" هي أقرب الحلول إلى هذه القضية.. ولكن المحامي هز رأسه قائلا:

– سأتابع القصة عند النقطة التي توقفت فيها... لقد وجدت نفسي في حالة ذهول وحيرة مثلكم... وأظن أني ما كنت لأستطيع الوصول إلى الحقيقة لولا مناسبة كان لها أثر كبير في استنارتي...

فقد ذهبت بعد نحو شهر من ذلك لتناول العشاء عند "**فيليب جارود**" زوج بنت الأخ، وفي سياق الحديث الذي دار في أثناء الطعام ذكر لي قصة طريفة وصلت إلى علمه منذ فترة قصيرة... إذ قال لي:

– أحب يا "**باتريك**" أن أختصك بهذه القصة، لتبقى بيننا بالتأكيد. ولما طمأنته قال لي:

– لي صديق كان يتوقع ميراثا طيبًا من أحد أقاربه، ثم أحزنه أن يعلم أن هذا القريب ينوي تغيير الوصية لصالح شخص لا يستحقها بحال... وأنا أعرف عن صديقي هذا انه لا يدقق كثيرا فيما يدقق فيه الناس.. وكانت في المنزل وصيفة متفانية في رعاية مصالح الطرف الشرعي إذا جاز هذا التعبير... فما كان من صديقي إلا أن زودها بتعليمات مبسطة جدًا وأعطاها قلمًا مملوءا... وكان عليها أن تضع هذا القلم في درج مكتب سيدها، ولكن غير الدرج المعتاد حفظ القلم فيه.. فإذا طلب سيدها منها أن تشهد على توقيعه على أية وثيقة وكلفها بإحضار قلمه، فعليها ألا تحضر له القلم الحقيقي، ولكن القلم الآخر المستحضر خصيصا والذي كان مطابقا له، هذا كل ما كان عليها أن تفعله... ولم يزودها فيما عدا

ذلك بأية بيانات أخرى... ولما كانت وصيفة متفانية، فإنها نفذت تعليماته بإخلاص.. وبعد أن توقف "**فيليب جارود**" برهة قال لي باسما:

– هل رأيت الفكرة؟ إن القلم المستحضر كان مملوءا بالحبر الطيار، وهو محلول من النشاء المذاب في الماء ومضاف إليه بعض نقط من اليود.. وهذا الخليط يكون مزيجًا من السائل الأزرق والأسود الغامق، ولكن الكتابة به تتلاشى تماما بعد أربعة أو خمسة أيام.. وما إن فرغ المحامي "**باتريك**" من كلامه حتى ضحكت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– الحبر الطيار؟ إني أعرفه تماما... كثيرا ما لعبت به وأنا طفلة... وأدارت الآنسة "**ماربل**" نظرها في وجوه الضيوف ببشاشة، وهزت إصبعها في وجه "**باتريك**" قائلة:

– وعلى الرغم من ذلك فإن القصة شرك من جانب المحامي لإيقاعنا في المصيدة كما قلت... وأظن أنني لم أقع في المصيدة!

مصرع الزوج

أهم الشخصيات :

- الآنسة "**جين ماربل**" : راوية القصة .
- "**ميبل**" : ابنة أخت الآنسة "**ماربل**" .
- "**جوفري دنهام**" : زوج "**ميبل**" .
- الدكتور "**رولنسون**" : طبيب الأسرة .
- الممرضة "**بروستر**" : ترعى والد "**جوفري**" العجوز .
- "**دورثي**" : وصيفة "**ميبل**" .

مصرع الزوج

كان الإلحاح شديدا من جانب الضيوف لكي تقص عليهم الآنسة "**ماربل**" غوامض تلك القصة المفزعة التي حدثت لابنة أختها الآنسة "**ميبل**" في القرية التي كانت مسقط رأسها... ولهذا هزت رأسها امتثالا قائلة:

– إن هذه القصة حدثت منذ خمسة عشر عاما، ولهذا فقد انتهت ملابساتها الآن لحسن الحظ، ونسيها الناس، وأصبحت الآن في حل من الكلام عنها... كانت "**ميبل**" ابنة أختي فتاة طيبة لطيفة، ولم يكن يصيبها سوى نزعاتها الدرامية... وقد تزوجت وهي في الثانية والعشرين رجلا يدعى "**جوفري دنهام**". كان على النقيض منها في حدة طبعه، وقيل إن الجنون كان وراثيًّا في أسرته حتى خفتُ الا ينتهي هذا الزواج بخير... لكن "**ميبل**" ركبت رأسها، وصممت على الزواج به، ولم يستطع أحد أن يفعل شيئا للحيلولة دون إتمامه، نظرا إلى ما تعلمونه من عناد الشباب ونزواته. وانقضت عشر سنوات لم أسمع فيها إلا قليلا عن "**ميبل**"... وبعد هذه المدة علمت أن السيد "**جوفري دنهام**" توفي فجأة تاركا لها كل ثروته؛ إذ لم ينجبا أبناء من هذا الزواج، ولم تمض إلا ثلاثة أشهر حتى تلقيت من "**ميبل**" رسالة هستيرية تتوسل إليَّ فيها أن أذهب إليها؛ لأن أمورها ساءت إلى الحد الذي عنده لم تعد تستطيع معه الاحتمال...

لم يكن بوسعي أن أرفض هذا النداء المؤثر، وهكذا سافرت إلى القرية، ووجدت "**ميبل**" في حالة اضطراب عصبي شديد... وكانت مقيمة في قصر ريفي فخم، وعندها وصيفة، وطاهية، وممرضة لخدمة والد زوجها العجوز المريض المحنك العقل... وصحيح أنه كان هادئا ومهذبا في سلوكه، لكنه كان كما قلت سليل أسرة بها لوثة جنون وراثي...

وقد بذلت جهدا جهيدا لمعرفة أسباب اضطرابها حتى علمت منها أن جيرانها أصبحوا يقاطعونها وينفرون من مقابلتها ورؤيتها، إلى الحد الذي عنده باتت تفكر في بيع القصر والانتقال إلى مكان آخر... واختتمت "**ميبل**" قائلة:

– لكن لماذا أطرد من القصر والقرية على هذه الصورة؟ إنني لم أفعل شيئا أستحق بسببه هذه القطيعة الشنيعة! فقلت لها:

– إنك تثيرين شديد دهشتي يا عزيزتي "**ميبل**".. لكن ما سبب كل هذا؟

– السبب هو تلك الشائعات الظالمة التي يشيعونها عني! فهم يظنون أنني دسست السم لزوجي! كنت موقنة تمامًا بأن "**ميبل**" أعجز الناس عن دس السم لأي إنسان... ولكنني قلت لها:

– لا دخان بلا نار كما يقولون يا عزيزتي "**ميبل**"... ولذلك أرجو أن تشرحي لي السبب الذي حدا بهم إلى مثل هذه الظنون القاسية.

أجابت "**ميبل**" بكلام متقطع بأنه لا سبب لهذا سوى موت زوجها "**جوفري دنهام**" ميتة مفاجئة.. كان في حالة طبيعية وقت العشاء في تلك الليلة، ولكنه أصيب بنوبة مرضية حادة في أثناء الليل... وقد دُعي الطبيب لإسعافه، ولكن المسكين لفظ أنفاسه بعد دقائق من وصول الطبيب... وقد ساد الظن بأن وفاته كانت نتيجة أكل عيش غراب مسموم... فقلت لها:

– أظن أن ميتة فجائية مثل هذه يمكن أن تطلق الألسنة، لكن من المؤكد أن هناك أسبابًا أخرى لعلها ساعدت على إطلاق الشائعات. هل حدثت مشادة بينك وبين زوجك وقتها؟

– أعترف بأننا تشاجرنا في صباح ذلك اليوم المشؤوم على مائدة الإفطار..

– سمع الخدم ذلك الشجار فيما أظن؟

– لم يكونوا وقتها في الغرفة... لكن لا يبعد أنهم كانوا قريبين منها..

– وماذا كان سبب الشجار؟

– لم يزد على كونه شجاراً عاديًا مما يقع مثله دائما... لكن كلاً منا لم يطق الآخر وقتها، حتى تبادلنا السباب والشتائم...

– وهل هذا كل شيء؟ أم ثمة أشياء أخرى؟ قالت "ميبل" ممتعضة:

– ماذا تقصدين بهذا السؤال يا خالتي؟

– أقصد ما قلت.. إذا كنت فعلت حماقة من أي نوع فلا تخفي شيئا عني... إنني أريد مساعدتك بكل طاقتي... فأجابت "ميبل" بيأس بالغ:

– لا شيء ولا أحد يمكن أن يساعدني سوى الموت! فقلت لها مواسية:

– ضعي ثقتك في العناية الإلهية يا عزيزتي "ميبل".. إنني أعرف تمامًا أن هناك شيئا آخر تحاولين إخفاءه عني... ومازلت بها حتى اعترفت لي في النهاية... قالت إنها قصدت في صباح ذلك اليوم إلى الصيدلية، واشترت مقداراً من الزرنيخ.. وبالتأكيد فإنها وقعت في سجل الصيدلية بشراء المادة السامة... وكان من الطبيعي أن يتكلم الصيدلي..

– ومن هو طبيب الأسرة؟

– الدكتور "رولنسون".. لم أكن أعرف هذا الطبيب إلا سماعًا... ولما قصدت إليه بعد قليل وجدته رجلاً مسنا ضعيف البصر والسمع... وقد فهمت منه أن المتوفى كان قد فقد النطق عند وصوله إليه.. وكان عاجزا عن ابتلاع أي دواء، ولفظ أنفاسه بعد دقائق... وبدا لي أن الطبيب كان مطمئنا تمام الاطمئنان إلى شهادة الوفاة التي حررها.. لكنني لم أستطع أن أعرف منه ما إذا كان مؤمنا بها أو أنها كانت وليدة العناء والتمسك بالرأي... وعلى أثر عودتي من زيارة الطبيب واجهت "ميبل" بصراحة، وسألتها عن سبب شرائها للزرنيخ.. فانخرطت في البكاء على الفور قائلة:

– كنت أريد أن أضع حدًا لحياتي.. كنت في أشد حالات التعاسة.. وبدا لي أن الأفضل هو أن أموت وأستريح..

– هل لايزال عندك هذا الزرنيخ؟

– لا.. فإنني تخلصت منه.. أخذت أفكر برهة.. ثم قلت لها:

– وماذا حدث عندما أصيب زوجك بتلك النوبة؟ هل أرسل يستدعيك إلى جانبه؟ فهزت رأسها قائلة:

– كلا.. إنه ضرب الجرس بعنف.. والظاهر انه فعل هذا أكثر من مرة.. وأخيراً سمعته "**دورثي**" الوصيفة، فأيقظت الطاهية، وذهبتا إليه.. وعندما رأته "**دورثي**" فزعت منه فقد كان محموماً، وكان يهذي بشدة.. فتركت الطاهية وأسرعت تبلغني.. فقمت من فراشي وذهبت إليه.. وقد رأيت في الحال خطورة حالته.. ومن سوء الحظ أن الممرضة الخاصة "**بروستر**" التي ترعى الأب العجوز كانت في راحتها الأسبوعية تلك الليلة، وهكذا لم يكن هناك من يعرف كيف يكون التصرف في مثل هذا الموقف.. لكنني أرسلت الوصيفة لاستدعاء الطبيب، وبقيت أنا والطاهية إلى جانبه. لكن حالته كانت من الشناعة بحيث لم أحتمل البقاء، فأسرعت عائدة إلى غرفتي الخاصة، وأغلقت الباب على نفسي..

– كانت هذه أنانية شنيعة من جانبك يا "**ميبل**".. لاشك في أن الطاهية نقلت هذه الحكاية للناس، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على سوء موقفك أكثر وأكثر.. ومهما يكن فإني تركت "**ميبل**" وانتقلت إلى استجواب الخدم عن حالة مخدومهم تلك الليلة.. فأجمعت الوصيفة والطاهية على أنه كان يعاني آلاما مبرحة، وأنه كان عاجزا عن الابتلاع، ولم يكن يستطيع الكلام إلا بصوت مختنق، وكانت كلماته أقرب إلى الحشرجة، ولا يفهم منها شيء.

– وماذا كان يقول في هذه الحشرجة؟

– كلامًا مبهمًا عن السمك.. كوم من السمك.. كلام أقرب إلى الهذيان بالتأكيد.. وبدا لنا وقتها أنه فقد صوابه.. كان هذا هو كل ما استطعت استخلاصه من الطاهية والوصيفة.. وأخيرا اجتمعت بالممرضة الخاصة "**بروستر**"؛ وسألتها عن معلوماتها، فقالت:

– من سوء الحظ أنني لم أكن موجودة في تلك الليلة. يبدو أن الجميع عجزوا عن عمل أي شيء لإسعافه قبل حضور الطبيب.. فقلت أجس نبضها:

– أظن أنه كان محمومًا.. لكن ليس هذا عرضًا من أعراض التسمم الغذائي، أليس كذلك؟ فأجابت الممرضة:

– هذه مسألة تقديرية. ولما سألتها عن حالة مريضها العجوز والد المتوفى هزت رأسها قائلة:

– إنه في صحة جيدة من الناحية البدنية.. ولكن حالته العقلية تتدهور بسرعة.. وسبق لي أن أشرت على السيد والسيدة "**دنهام**" بنقله إلى مصحة عقلية، ولكن السيدة "**دنهام**" رفضت هذا رفضا باتا..

لم أستغرب موقف "**ميبل**" من هذه الناحية، فقد كنت أعرف طيبة قلبها ورقة مشاعرها إلى أبعد الحدود.. لم يكن أمامي بعد ذلك سوى الالتجاء إلى الحل الوحيد لوضع حد للشائعات التي تحاصر "**ميبل**" المسكينة، فطلبنا التصريح باستخراج جثة زوجها وتشريحها رسميًّا وقد تم هذا فعلا، لكن النتيجة لم تكن مرضية بالقدر الذي كنت أرجوه.. كانت خلاصة التقرير الطبي بهذا النص:

"ليس هناك شيء يبين بأية كيفية كانت ميتة المتوفى" هكذا شعرت بأنني عاجزة أو أكاد عن الوصول إلى الحقيقة وكشف القناع عن مصرع الزوج.. إلى أن هدتني التجربة إلى حيلة كنت ألجأ إليها دائما كلما ضاقت بي السبل.. وقد تضحكون أنتم يا شباب هذا الجيل عندما أقول لكم مثل هذا الكلام.. فإنني كنت ألجأ إلى

ترتيل صلاة قصيرة في مثل هذه الظروف، وأجدني دائما أُوَفَّق بعدها إلى الرأي السديد . .

ويومها تمتمت بصلاتي وأنا سائرة في الشارع الرئيسي في القرية مستغرقة في التفكير، وقد أغمضت عيني . . وما إن فتحتهما حتى ألفيت نفسي أمام دكان بائع السمك، وليس في واجهته سوى سمكة واحدة من نوع الحدوق . والآن يا أصدقائي ماذا تظنون قد طرأ على ذهني عند رؤيتي السمك؟

لقد تذكرت في الحال ما ذكرته الطاهية والوصيفة عن الكلمات التي تفوه بها المتوفى عن السمك . . واقتنعت اقتناعا جازما بأن ثمة نوعا من الحل لهذا اللغز الغامض المحير في كلمات المتوفى . . ولذلك عدت إلى القصر ،وقد عقدت العزم على التوصل إلى الحل المنشود .

واجتمعت بكل من الطاهية والوصيفة على انفراد . . فسألت الطاهية عمّا إذا كانت متأكدة أن مخدومها قال فعلا كلاما عن (كوم من السمك) . . فأجابت بأنها متأكدة كل التأكد . فسألتها :

- هل كانت هذه كلماته بالنص، أم أنه ذكر نوعا معينا من السمك؟ فأجابت الطاهية :

- الحقيقة أنه ذكر نوعا معينا من السمك، لكنني لا أتذكره الآن . . كوم من . . يا ليتني أتذكر . . لم يكن نوعا من السمك المعتاد وجوده على المائدة . .

- أنا معك في هذا، فإن زميلتك الوصيفة قالت أيضا إن سيدها ذكر (نوعا من السمك المتوحش) .

- آه . . تذكرت الآن . . كان اسم السمك غريبا فعلا . . كان صعب النطق . . وكل ما أتذكره أنه كان يبدأ بحرف الباء . .

تركت الخادمتين، وقمت بمحاولة أخيرة لاستكمال نظريتي . . ومن حسن الحظ

أن منزلنا الريفي في القرية كان به مجلد كبير عن الطب وعن العقاقير المختلفة في المكتبة التي تركتها والدتي.. وكانت نظريتي هي أن "**جوفري دنهام**" قد تناول سمكا معينا، وأنه كان يحاول النطق باسمه..

وبعد البحث طويلا في المجلد الطبي توقفت عند كلمة (بيلوكاربين).. إنها كلمة صعبة النطق.. ولا شك في أن رنينها يبدو غريبا في سمع طاهية محدودة المعرفة.. وأقرب شيء يمكن أن تفهمه منها هو مدلولها. الأولي – كوم من سمك كارب (بايل أف كارب)، وقرأت في المجلد كل ما جاء عن مادة الـ(بيلوكاربين)، وتأثيرها في العينين، وغير ذلك من المعلومات التي لا تتصل بالقضية، إلى أن وصلت أخيرا إلى العبارة الحاسمة التي تقول: (وقد جرب الأطباء بنجاح عقار الـ "بيلوكاربين" كترياق ضد التسمم بالأتروبين).

والواقع أنني لم أكد أقرأ هذه العبارة حتى سطعت الحقيقة في ذهني كالشهاب البارق.. إنني لم أفكر قط في أن مثل "**جوفري دنهام**" يمكن أن يفكر في الانتحار.. إن كل الظروف كانت تشير إلى عكس هذا تماما.. ولذلك قررت أن أقوم بآخر محاولة للتثبت من صحة نظريتي. إنني لا أعرف شيئا في الطب والعقاقير بالتأكيد، ولكن الذي أعرفه أني عندما شعرت مرة بضعف في الإبصار وصف لي الطبيب قطرة بها (سلفات الأتروبين). ولهذا صعدت من فوري إلى غرفة السيد "**دنهام**" العجوز، وقلت له بغير لف ولا دوران:

– سيد "**دنهام**".. إنني عرفت كل شيء.. لماذا سممت ابنك؟ راح العجوز يحدق إليَّ طويلا.. وما لبث أن انفجر ضاحكا.. كانت ضحكة جنونية شريرة من أسوإ ما سمعت في حياتي، حتى شعرت بقشعريرة تسري في جسدي.. وأخيرا راح يقول:

– نعم.. إنني صفيت حسابي مع "**جوفري**".. إنه كان ينوي إبعادي عن هنا..

كان يريد إرسالي إلى المصحة.. لقد سمعتهما يتكلمان في هذه المسألة.. ولكن "**ميبل**" فتاة طيبة، وقد وقفت في صفي.. لكنني كنت أعرف أنها لن تستطيع مقاومة "**جوفري**"، وأنه سوف ينفذ غرضه في النهاية.. أنهيت حياة ولدي، الطيب، الحنون.. هاها.. إنني تسللت إلى غرفته في الليل.. كانت المسألة غاية في السهولة.. فقد كانت الممرضة "**بروستر**" غائبة. كان ولدي الحبيب نائمًا.. وكان من عادته أنه يترك كوب ماء بجانب فراشه، إذ كان يستيقظ في منتصف الليل ويشرب الكوب.. ولكنني أفرغت الكوب هاها.. ثم أفرغت زجاجة القطرة في الكوب بدلا من الماء.. كنت واثقًا بأنه سوف يستيقظ ويشرب الكوب قبل أن يعرف ما فيه.. وهذا ما فعله بالضبط.. ثم حضروا عندي في الصباح وأخبروني بما حدث مترفقين. كانوا خائفين أن يفجعني النبأ.. هاها.. هاها.. قالت الآنسة "**ماربل**" لضيوفها:

– لا بأس.. هذه هي نهاية القصة.. وبالتأكيد فإن الأب العجوز المنكود أُدخل مستشفى الأمراض العقلية.. والواقع أنه بهذه الصفة لا يعتبر مسؤولا عمًّا فعله.. ولما عُرفتْ الحقيقة شعر الناس بالعطف على "**ميبل**" المسكينة والرثاء لها، وأخذوا يفعلون كل ما في وسعهم لتعويضها عن الشكوك والظنون الظالمة التي صدرت عنهم في حقها..

ولكن لولا أن "**جوفري**" عرف المادة التي ابتلعها، وأخذ يحاول أن يذكر لكل من رآه أن يحضر الترياق، وهو مادة الـ(بيلوكاربين) دون إبطاء، لما عرفتْ الحقيقة، ولما استطعت أن أكشف النقاب عن سر موته المفاجئ. أعتقد أن هناك أعراضا محددة للأتروبين مثل اتساع حدقتي العينين إلى غير ذلك.. أما الدكتور "**رولنسون**" الذي حرر شهادة الوفاة فقد كان مصابا بضعف الإبصار كما قدمت، وهكذا فاته أن يسجل هذه الحقيقة التي كان يمكن أن تغير مجرى القضية وقتها.. ولكن هكذا شاء القدر..!

الزهرة الزرقاء

أهم الشخصيات :

– مدير البوليس "**هنري كليترنج**" : راوي القصة.

– العقيد "**آرثر بانتري**" : صديق "**هنري**" .

– السيدة "**دوللي بانتري**" : زوجة السيد "**آرثر**" .

– الآنسة "**جين ماربل**" : مدعوة كضيفة.

– السيد "**جورج بريتشارد**" : صديق العقيد "**آرثر**" .

– السيدة "**بريتشارد**" : زوجة "**جورج**" . مريضة دائما. امرأة ثرية.

– الآنسة "**كارستيرز**" : ممرضة شابة طردتها السيدة "**بريتشارد**" .

– الآنسة "**كوبلنج**" : ممرضة اكبر سنًّا من "**كارستيرز**" .

– "**زاريدا**" : عرَّافة. قارئة المستقبل.

– الآنسة "**جين إينستو**" : صديقة "**جورج بريتشارد**" .

الزهرة الزرقاء

نزل السيد "**هنري كليترنغ**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق ضيفًا على صديقه العقيد "**آرثر بانتري**" وزوجته.. وتكريما له اقامت الأسرة مأدبة عشاء دُعِيَ إليها أصدقاء الأسرة المقربون، وكانت بينهم الآنسة "**ماربل**" التي رشحها السيد "**هنري**" لتكون في عداد المدعوين.. والواقع أن السيدة "**بانتري**" رحبت بوجود هذه الضيفة على مائدة العشاء؛ إذ قالت لمدير البوليس الأسبق:

– وأظن أنه يمكننا أن نعرض عليها حكاية "**آرثر**" عن العفاريت بعد العشاء.. وسيكون من دواعي امتناني أن تجد لنا الآنسة "**ماربل**" حلا لهذه القضية الغريبة.. فقال السيد "**هنري**":

– لم أكن لأعرف أن "**آرثر**" يؤمن بالعفاريت...

– إنه لا يؤمن بها فعلا.. وهذا هو ما يثير شديد قلقه.. إن القصة التي حدثت لصديقه "**جورج بريتشارد**"، قد اقترنت بفاجعة أليمة.. وعلى كل حال فسوف تعرف التفاصيل حول مائدة العشاء.. وجلس الضيوف حول المائدة يستمعون بعد العشاء إلى العقيد "**آرثر بانتري**" المورد الوجه، وهو يقص عليهم القصة بناء على طلب زوجته، فراح يقول:

– لا أظن أن بينكم من يعرف "**جورج بريتشارد**"..إنه شخصية طيبة فاضلة.. وزوجته – لا بأس، فإن المسكينة توفيت – يكفي أن أقول إنها لم تهيئ لـ "**جورج**" شيئا من الراحة، عندما كانت على قيد الحياة.. فقد كانت (المريضة الخالدة) كما يقولون.. وكانت إلى ذلك كثيرة النزوات، متسلطة، غير معقولة.. وكانت تشتكي من كل شيء من الصباح إلى المساء.. وكان المفروض أن يظل "**جورج**" عبدا لها، يمتثل لأوامرها ونواهيها.. ولو كان لها زوج غير "**جورج**" لقطع رأسها

ببلطة منذ زمن بعيد.. أليس كذلك ياعزيزتي "**دوللي**"؟ فأجابت زوجته بلهجة جادة:

– لقد كانت امرأة شنيعة.. ولو كان "**جورج**" قطع رأسها بالبلطة، وكانت هناك امرأة بين المحلفين لمحاكمته، لبرّأت ساحته تماما.. فاستطرد العقيد "**بانتري**" قائلا:

– لست أدري تماما كيف بدأت القصة.. ولكن السيدة "**بريتشارد**" كانت تؤمن بالمنجمين والعرافين وقارئي البخت.. ولم يمانع "**جورج**" في ذلك، رغبة منه في مجاراتها حتى يتقي شر شكاواها التي لا تنتهي..

وكان يتعاقب على المنزل ممرضات عديدات لرعايتها.. ولكنها كانت لا تلبث أن تبدلهن بعد أسابيع معدودة.. وكانت بينهن ممرضة شابة لها شغف بهذا اللون من التنجيم والعرافة، وقد تعلقت السيدة "**بريتشارد**" بها كثيرا.. ولكنها لم تلبث أن انقلبت عليها وأصرت على طردها.. ثم استعادت ممرضة أخرى كانت عندها من قبل، وكانت أكبر سنًّا وذات تجارب في معالجة هذا اللون من النزوات العصبية.. وقال "**جورج**" في وصف الآنسة "**كوبلنج**" هذه إنها معقولة وذات كفاءة؛ إذ كانت تعرف كيف توقف نزوات زوجته عند حدها..

وكانت السيدة "**بريتشارد**" تتناول طعام الغداء في غرفتها بصفة دائمة.. وقد حدث اتفاق بين "**جورج**" والممرضة على أن تأخذ هي فترة راحتها بعد الغداء لكي يخلو لها الجو، في هذا اليوم فاجأته ببغيتها في زيارة شقيقة لها في الفترة المتفق عليها.. ولما رأت امتناعه بادرته قائلة:

– إن السيدة "**بريتشارد**" لن تفتقد غيابنا بعد ظهر اليوم.. ستكون عندها ضيفة تسليها.. هي "**زاريدا**" قارئة المستقبل.. فلم يتمالك "**جورج**" أن تأوه قائلا:

– رباه أهذه عرافة جديدة؟

– جديدة تماما. أظن أنها من طرف الممرضة "**كارستيرز**"، التي سبقتني.. إن السيدة "**بريتشارد**" لم ترها بعد.. وقد طلبت مني أن أكتب إليها، وحددت الموعد بعد ظهر اليوم.. فقال "**جورج**":

– لا بأس، على أي حال سأذهب للعب الجولف. وعند عودة الزوج إلى المنزل وجد السيدة "**بريتشارد**" في حالة هياج شديد.. وكانت مستلقية كعادتها على (أريكة المرض)، وبين يديها زجاجة أملاح النشادر التي اعتادت أن تستنشقها على فترات.. وما كادت السيدة "**بريتشارد**" تبصر زوجها حتى هتفت قائلة:

– ألم أقل من قبل إن هذا المنزل يضم لنا ضرراً؟ إن العرافة أكدت هذا عند دخولها، إذ قالت على الفور "هنا شيء ينتظر.. سر وخطر.. إني أشم روائحه" فرد عليها "**جورج**" ضاحكا:

– لم يكن من الحكمة أن تقول هذا.. فأغمضت الزوجة عينيها، وتنشقت الزجاجة طويلا قائلة:

– لشدَّ ما تكرهني – إنك سوف تصفر وتضحك لو رأيتني أموت.. فاحتج "**جورج**" على هذا الكلام، وجعل يطيب خاطرها.. ولما سألها عمَّا قالته العرافة عن هذا أجابت قائلة:

– لم تقل كثيرا، ولكنها عندما لمحت بعض أزهار البنفسج في زهرية أمامي هتفت تقول لي: أبعدي هذه الأزهار .. لا أزهار زرقاء.. إن الأزهار الزرقاء مصدر هلاك لك.. تذكري هذا.. ثم أضافت السيدة "**بريتشارد**" تقول لزوجها:

– إنني أشعر بتشاؤم غريزي منها.. فلم يكذبها الزوج ولم يناقض كلامها.. وإنما سألها عن أوصاف "**زاريدا**" العرافة، فراحت تقول بحماس:

– شعرها أسود ملفوف في دوائر فوق الأذنين.. عيناها نصف مغمضتين.. وحولهما دوائر سوداء كبيرة.. وقناع أسود على رقبتها وذقنها.. ولهجتها أجنبية،

وهي إسبانية فيما أظن. فقال "**جورج**" بلهجة المرح:

– هذه مستلزمات الضيفة كالعادة.. وفي الحال أغمضت الزوجة عينيها قائلة:

– إن المرض عاودني.. اضرب الجرس للممرضة... إن سخريتك تهدني وتتلف أعصابي.

وبعد يومين، جاءت الممرضة "**كوبلنج**" تخبر "**جورج**" بأن زوجته في حالة اضطراب شديد بسبب رسالة تلقتها.. وعندما خف إلى جانبها ناولته الرسالة التي كانت معطرة ومكتوبة بخط أسود كبير بالنص التالي:

"إني رأيت مستقبلك.. احذري قبل أن يفوت الأوان.. احذري القمر بدرا.. إن زهرة الربيع الزرقاء هي النذير.. وزهرة الخطمي الزرقاء تعني الخطر... وزهرة ألغرنوق الزرقاء تعني الموت.."

وعندما هم الزوج بأن يقهقه ضاحكا لمح الممرضة "**كوبلنج**" تومئ إليه محذرة.. فقال لزوجته:

– ربما أرادت المرأة تخويفك يا "**ماري**".. على أي حال لا توجد زهرة ربيع زرقاء ولا زهرة فوق زرقاء. ولكن السيدة "**بريتشارد**" اخذت تنتحب، وتقول إن أيامها أصبحت معدودة.. وعندما خرجت الممرضة "**كوبلنج**" مع "**جورج**" قالت له بلهجة الجد:

– إنني لا أؤمن بمسالة قراءة المستقبل.. فهذا كلام فارغ.. ولكن الذي يحيرني هو معنى هذا.. ثم هناك مسألة أخرى.. فقد قالت لي السيدة "**بريتشارد**" أن "**زاريدا**" بدت لها وكأنها غير غريبة عنها.

وبعد أربعة أيام وقع الحادث الأول.. ولكي أشرح لكم الموقف أقول إن غرفة السيدة "**بريتشارد**" كانت حوائطها مكسوة بالورق الذي تكثر فيه الأزهار الملونة، حتى لتبدو الغرفة وكأنها حديقة ، وبينها بالتأكيد أنواع من زهرة الربيع صفراء

وقرمزية.. وقد حدث ذات صباح أن قرعت السيدة "**بريتشارد**" الجرس بعنف، وعندما أسرع إليها أهل المنزل جميعا وجدوها في أشد حالات الانفعال، وأشارت لهم إلى ورق الحائط.. فبين مجموعات زهرة الربيع شاهدوا زهرة "زرقاء" فعلا..

وكان السؤال هو: ألم تكن زهرة الربيع "الزرقاء" موجودة في مكانها هكذا طول الوقت؟ كان هذا هو رأي "**جورج**" والممرضة.. لكن السيدة "**بريتشارد**" لم تأخذ بهذا الكلام.. بأي حال.. وأكدت أنها لم تلاحظ لون الزهرة "الأزرق" إلا في هذا الصباح، وكان القمر ليلتها بدراً.. وتولاها الاضطراب والفزع على الفور. وهنا تدخلت السيدة "**بانتري**" قائلة:

– إنني قابلت "**جورج بريتشارد**" في ذلك اليوم فعلا، وأخبرني بما حدث.. وأذكر أنني قابلت أيضًا صديقتنا "**جين إينستو**" وأخبرتها بذلك.. والغريب أنني وجدتها مرتاحة إلى هذه النتيجة، وقالت إن زوجة تنغص حياة زوجها على تلك الصورة تستحق أن يصيبها الفزع حتى الموت.. وقالت لي كلاما لا أنساه: "نعم.. إن "**جورج**" المسكين يستحق العطف.. فهو شخصية جذابة.. وكانت الممرضة السابقة تراه كذلك – أعني الممرضة الحسناء المدعوة "**كارستيرز**"– وكان ذلك هو سبب المشاحنة التي حدثت بينها وبين السيدة "**بريتشارد**"، واستغنت عنها على الأثر".. ولقد استنكرت هذا الكلام بالتأكيد من "**جين**".. فقالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء تعقيبا على ما سمعته:

– لك حق يا عزيزتي.. هل "**جين إينستو**" فتاة جميلة؟ أظنها تلعب الجولف؟

– نعم.. هي بارعة في كل الألعاب.. وهي جميلة وجذابة.. وكان من رأينا جميعًا أن الظروف لو اختلفت عمّا كانت عليه لكانت هي و"**جورج**" خير من يليقان ببعضهما.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– وهل كانا صديقين؟

– إلى أبعد الحدود.. فقال العقيد "**بانتري**" لزوجته بلهجه الشكوى:

– هل يمكن يا "**دوللي**" أن تسمحي لي بإتمام بقية القصة؟ فأجابت السيدة "**بانتري**" مستسلمة:

– إن "**آرثر**" يريد أن يعود إلى قصة العفاريت! واستطرد "**بانتري**" يقول:

– في الواقع إن السيدة "**بريتشارد**" زادت حالتها سوءاً قرب نهاية الشهر التالي.. فقد جاءت بتقويم، ووضعت علامة على التاريخ الذي يصير فيه القمر بدراً.. وفي تلك الليلة استدعت إلى غرفتها الممرضة ثم "**جورج**"، وطلبت منهما أن يفحصا حالة ورق الحائط جيداً.. كان أمامهم زهور الخطمي حمراء وقرمزية، وليس بينها زهور زرقاء.. وعندما انصرف "**جورج**" من الغرفة سارعت بإغلاق الباب على نفسها.. فلما كان الصباح وجدت بين أزهار الخطمي زهرة فوق رأسها تحولت إلى اللون "الأزرق".. فذهل "**جورج**".. لكن أبى أن يأخذ المسألة مأخذ الجد.. وقال إنها مجرد مزحة.. وتجاهل دليل الباب المغلق، واكتشاف زوجته لهذا التغيير قبل دخول أحد إلى الغرفة حتى الممرضة "**كوبلنج**"..

وعلى الرغم من هذا كله لم يستسلم "**جورج**" لإلحاح زوجته بالانتقال إلى منزل آخر، مع أنه كان ينزل دائما على رغباتها.. واعتبر المسألة كلها من قبيل الخزعبلات والأوهام... وهكذا تعاقبت أيام الشهر التالي.. وكفت السيدة "**بريتشارد**" عن الشكوى، والاحتجاج، وكأنها لفرط إيمانها بالخرافات أصبحت مستسلمة لمصيرها.. ولم تكف عن ترديد كلمات الرسالة التي تلقتها: "زهرة الربيع الزرقاء نذير.. وزهرة الخطمي الزرقاء تعني الخطر.. وزهرة الغرنوق الزرقاء تعني الموت".. وأصبحت وهي ممددة فوق أريكتها تطيل النظر إلى أزهار الغرنوق القرمزية والحمراء قرب الأريكة. كانت الحالة مثيرة للأعصاب، إلى الدرجة التي جعلت الممرضة تسري إليها العدوى.. فقد ذهبت إلى "**جورج**" قبل حلول موعد البدر ترجو أن

يبعد السيدة "**بريتشارد**" من هذا المكان.. ولكنه غضب وصاح في وجهها:

– لو استحالت جميع الأزهار فوق حوائط الغرفة إلى شياطين "زرقاء"، فإنها لن تقتل أي إنسان!

– ربما تقتل هذه المرة.. فإن الصدمة قتلت أناسا قبل الآن..

– كلام مخرِّفين!

والحق أن "**جورج**" كان عنيدا إلى حد ما.. ولعله كان يظن في دخيلة نفسه أن زوجته تحدث هذه التغييرات استسلاما لنزوات هستيرية.. إلى أن جاءت الليلة المشؤومة.. فقد أغلقت السيدة "**بريتشارد**" الباب على نفسها.. وكانت في أتم حالات الهدوء – حتى قلقت الممرضة لحالتها، ولما أرادت أن تعطيها حقنة منشطة رفضت رفضًا تامًّا..

وفي الصباح لم يحدث قرع عنيف للجرس كان من عادة السيدة "**بريتشارد**" أن تستيقظ في الثامنة صباحًا.. فلما كانت الثامنة والنصف دون أن تصدر إشارة من ناحيتها طرقت الممرضة بابها عاليا.. وعندما لم تجد ردًّا،أسرعت إلى "**جورج**"، وأصرت على فتح الباب بالقوة.. فكان ما أرادت..

كانت نظرة واحدة من الممرضة "**كوبلنج**" إلى الجسم الساكن كافية.. وقد طلبت من "**جورج**" استدعاء الطبيب تليفونيا، ولكن سبق السيف العذل.. فقد قرر الطبيب أن السيدة "**بريتشارد**" لابد من أن تكون قد توفيت منذ ثماني ساعات على الأقل.. وكانت زجاجة أملاح النشادر بيدها في الفراش.. وشوهدت إحدى زهرات الغرنوق القرمزية على الحائط قرب الفراش، وقد استحالت إلى اللون "الأزرق".. عندئذ تدخل السيد "**هنري**" قائلا وقد قطب وجهه:

– ألم توجد تفاصيل أخرى؟ فهز العقيد "**بانتري**" رأسه.. ولكن زوجته سارعت تقول:

– والغاز؟ فقال السيد "**هنري**" :

– عندما وصل الطبيب كانت هناك رائحة غاز خفيفة، وفعلا وجد صنبور الغاز في المدفأة وهو مفتوح قليلا.. لكنه كان من القلة بدرجة ليست لها أهمية..

– ألم يلاحظ السيد "**بريتشارد**" والممرضة رائحة الغاز عندما دخلا الغرفة أول مرة؟ قالت الممرضة إنها لاحظت رائحة خفيفة.. وقال "**جورج**" إنه لم يلاحظ الغاز، ولكن شيئا جعله يشعر بالغرابة والانقباض.. على أنه عزا ذلك إلى صدمة الموقف. وعلى أى حال لم يثبت حدوث تسمم بالغاز.. فإن الرائحة كانت ضئيلة..

– وهل هذه هي نهاية القصة؟

– لا.. فقد تناثرت الأقاويل بعد ذلك.. إن الخدم مثلا سمعوا السيدة "**بريتشارد**" وهي تقول لزوجها إنه يكرهها، وإنه سوف يصفِّر لموتها.. ومن ذلك قولها أيضا إنها ترجو إذا هي ماتت فعلا أن يعرف الجميع أنه قتلها.. واقترن بهذا سوء حظ غريب.. فقد تصادف أنه كان في اليوم السابق ذاته يخلط مادة مبيدة للزنابير في الحديقة.. وقد شاهده أحد الخدم وهو يفعل ذلك، ثم شاهده بعد ذلك وهو يحمل كوب حليب (لبن) ساخن لزوجته.. ثم تزايدت الأقاويل وانتشرت.. وكان الطبيب قد أعطى شهادة للوفاة تفيد أنها حدثت نتيجة صدمة أو هبوط في القلب، أو أي تعبير طبي من هذا القبيل.. ولكن نظرا إلى الظروف التي اقترنت بالوفاة، فقد رفع التماس باستخراج الجثة من مدفنها لتشريحها، وتمت الموافقة على الالتماس.. فقال السيد "**هنري**" برصانة:

– وأذكر أن نتيجة التشريح جاءت سلبية.. وهكذا كانت القضية أقرب إلى دخان بلا نار..

– إن الحكاية كلها غريبة جداً.. فهناك مثلا قارئة البخت "**زاريدا**".. فإنهم لم

يعثروا على أي أحد بهذا الاسم في العنوان المفترض وجودها فيه! فقال العقيد "**بانتري**" :

– إنها ظهرت مرة واحدة – من الفضاء.. ثم تبخر كل أثر لها! وأضافت السيدة "**بانتري**" :

– وأكثر من هذا، إن الممرضة الشابة "**كارستيرز**" التى كانوا يظنون أنها هي التي أوصت بها، أكدت أنها لم تسمع حتى بوجودها! وعندئذ قالت الآنسة "**ماربل**" بصوتها الرقيق:

– وهل تزوج السيد "**بريتشارد**" والآنسة "**جين إينستو**"؟ فهز العقيد "**بانتري**" رأسه قائلا:

– إننا.. إننا توقعنا شيئا من هذا القبيل.. لكن مضت الآن سنة ونصف السنة ولا أعتقد أنهما يتقابلان بأي حال. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– هذه نقطة مهمة.. مهمة جداً.. فقالت السيدة "**بانتري**" :

– إذن أنت تظنين مثلما أظن؟ والحقيقة أن فكرة جامحة خطرت لي.. فربما عمدت "**جين إينستو**" إلى التنكر في زي قارئة البخت، لا لشيء سوى المزاح بالتأكيد.. لكن إذا ما كانت قد فعلت هذا حقًّا، وكانت السيدة "**بريتشارد**" من البلاهة بحيث تستسلم للفزع الذي يؤدي إلى الموت، فربما كان هذا ما تعنيه الآنسة "**ماربل**".. ولكن الآنسة "**ماربل**" ردت عليها قائلة:

– لا يا عزيزتي ليس هذا تماما.. لكنني إذا كنت الذي قتل أي إنسان – وهذا مالا يمكن أن افكر فيه بأي حال – فلا يمكن أن أعتمد على بث الرعب والفزع فحسب في نفس من أريد قتله لكي يموت، لأن هذه وسيلة غير مؤكدة.. ولكنني ألجأ إلى شيء مضمون وأعد لذلك خطة محكمة.. فقال السيد "**هنري**" :

– يا آنسة "**ماربل**".. إنك تفزعينني.. أتمنى ألا تفكري يوما في التخلص

مني.. فإن خطتك ستكون ولا شك غاية في الإحكام والدقة.. فنظرت إليه الآنسة "**ماربل**" معاتبة، وقالت:

– قلت إن هذا شيء لا يمكن أن افكر فيه بحال.. إنني كنت أحاول أن أضع نفسي في مكان.. شخص معين.. معين.. فقال العقيد "**بانتري**":

– تقصدين "**جورج بريتشارد**"؟ إنني لا أعتقد عنه شيئا كهذا – وإن كانت حتى الممرضة تعتقد ذلك.. إنني ذهبت وقابلتها بعد مُضي شهر على الحادث، وعند تشريح الجثة.. فقالت إنها لا تعرف كيف حدث ما حدث.. ولكن اتضح لي أنها تعتقد أن "**جورج**" مسؤول بكيفية ما عن موت زوجته.. بل إنها بدت مقتنعة بهذا.. ولم يلبث السيد "**هنري**" أن مال إلى الأمام قائلا:

– هيا الآن يا آنسة "**ماربل**".. أراك مستسلمة لأحلام النهار.. فهلا فسرت لنا كل شيء عن خفايا هذه القضية؟ فانتفضت الآنسة "**ماربل**"، وتورد محياها قائلة:

– عفوا.. إني كنت أفكر في مشكلة التمريض المحلي في منطقتنا هذه..

– أهي مشكلة أعوص من مشكلة زهرة الغرنوق الزرقاء؟ فردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– المسألة كلها تتوقف على زهرة الربيع.. أعني أن السيدة "**بانتري**" قالت إنها زهرات ألوانها صفراء وقرمزية تحولت إلى اللون الأزرق، فإن هذا يتوافق في مشكلتنا ويجد مكانه الصحيح.. لكن إذا كانت الزهرة صفراء اللون.. فسارعت السيدة "**بانتري**" قائلة:

– كانت زهرة قرمزية اللون.. وجعلت تحدق إلى وجه الآنسة "**ماربل**".. وشاركها جميع الضيوف تحديقها.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إذن فإن هذا يفسر كل شيء.. ثم مسألة موسم الزنابير وما إلى ذلك.. ومسألة الغاز بالتأكيد.. فقال السيد "**هنري**":

– أظن أنَّ هذا يذكرك بكثير من المآسي التي تحدث في الأرياف... فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول والجميع متحيرون في فهم ما ترمي إليه بأسئلتها الغامضة:

– ليست مآسيَ بالمعنى المفهوم.. إنما يذكرني هذا بالمتاعب التي تحدث في نطاق التمريض المحلي والقائمات به.. وعلى كل حال فإن الممرضات بشر، يضاف إلى هذا ضرورة التزامهن بالسلوك القويم وارتداء تلك الياقات المنشاة الصلبة والاختلاط بالعائلات.. فهل يعجب الإنسان بعد ذلك إذا حدثت حوادث؟ فقال السيد "**هنري**"، وقد لمعت عيناه:

– تقصدين الممرضة "**كارستيرز**"؟

– آه.. كلا.. ليس قصدي الممرضة "**كارستيرز**". وإنما الممرضة "**كوبلنج**".. فإنها كما تعلم كانت تقوم بالتمرين بالمنزل من قبل، وكانت متصلة بالسيد "**جورج**" الذي قلتم إنه وسيم جذاب.. واعتقادي انها فكرت.. لكن لا داعي إلى الكلام في هذه النقطة.. وأظن أنها لم تكن تعرف حكاية الآنسة "**جين إينستو**" وصداقتها لـ"**جون بريتشارد**".. وعندما عرفت انقلب شعورها بالتأكيد وحاولت أن تسبب أشد ضرر يمكنها فعله.. وبالتأكيد فإن الرسالة فضحت أمرها.. أليس كذلك؟

– أية رسالة؟

– لا بأس.. إنها كتبت رسالة بناء على طلب السيدة "**بريتشارد**" إلى قارئة البخت، وجاءت هذه العرافة استجابة للرسالة.. ثم تبين فيما بعد أنه لاوجود لمثل هذه العرافة في العنوان المذكور.. وهذا يبين أن الممرضة كانت وراء هذه الحالة.. إنها تظاهرت بكتابة الرسالة.. وماذا يرجح أكثر من أن تكون هي نفسها قارئة البخت فعلا؟ فقال السيد "**هنري**":

– إنني لم أفكر في أمر هذه الرسالة بحال.. إنها بالتأكيد أهم عنصر في

القضية.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– تلك كانت خطوة جريئة من جانبها؛ لأن السيدة "**بريتشارد**" كان يمكن أن تتعرف التنكر.. وإن كان بوسعها في هذه الحالة أن تزعم أنها كانت دعابة من جانبها.. فقال السيد "**هنري**":

– وماذا كنت تقصدين عندما قلت إنك لو كنت شخصا معينا لما اعتمدت على الفزع فحسب؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**" ضاحكة:

– إن الاعتماد على شيء كهذا لا محل له.. وفي ظني أن رسالة التحذير والأزهار الزرقاء لم تكن سوى تغطية..

– إذن ما هي الحقيقة؟

– إنني أفكر في الزنابير المسكينة التي تموت بالآلاف ويا لتعاستها! وخصوصًا في مثل ذلك اليوم المشرق من أيام الصيف.. ولكنني لم أتمالك أن خطر ببالي عندما رأيت البستاني يهز الزجاجة التي بها مبيد (سيانيد البوتاسيوم) لخلطها بالماء، أما هنالك من شبه بين هذه المادة السامة القاتلة للزنابير، وبين أملاح النشادر المنعشة؟ وإذا أمكن وضع المحلول السام في زجاجة أملاح النشادر وإبدالها بالزجاجة السليمة.. ماذا أقول أكثر من أن الزوجة المسكينة كانت تستنشق زجاجة أملاح النشادر باستمرار.. لقد قلتم فعلا إن الزجاجة وجدت في يدها.. وبالتأكيد عندما ذهب السيد "**جورج**" لاستدعاء الطبيب تليفونيًّا، كان بإمكان الممرضة "**كوبلنج**" تغيير الزجاجة القاتلة بلا عناء.. كما كان بإمكانها فتح صنبور الغاز قليلا لإخفاء رائحة (سيانيد البوتاسيوم)، حتى لا يفطن أحد إلى وجود شيء غريب، وقد سمعت دائمًا أن السيانيد لا يترك رائحة إذا مضت عليه مدة طويلة. وتوقفت الآنسة "**ماربل**" عند هذا الحد لتلتقط أنفاسها.. فقالت إحدى المضيفات:

– لكن ما حكاية أزهار الخطمي الزرقاء والأزهار الأخرى؟ فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول:

- إن الممرضات معهن دائمًا ورق عباد الشمس، أليس كذلك؟ من أجل إجراء الاختبار.. إنني لن أطيل في هذه النقطة التى لا تحبها النفس كثيراً.. إنني قمت في فترات من حياتي ببعض أعمال التمريض.. وفي الاختبارات..

يتحول الأزرق إلى أحمر بواسطة الأحماض، ويتحول الأحمر إلى أزرق بواسطة القلويات.. ومن السهل لصق بعض عباد الشمس الأحمر فوق زهرة حمراء.. قرب الفراش بالتأكيد. وعندما تستعمل الزوجة المسكينة زجاجة أملاح النشادر فإن أبخرة النشادر قوية تحول اللون الأحمر إلى أزرق هذه فكرة حاذقة فعلا.. بالتأكيد لم تكن زهرة الخطمي زرقاء اللون عندما اقتحموا الغرفة أول مرة.. إن أحداً لم يلاحظ هذا إلا فيما بعد.. وعندما غيرت المرضة "**كوبلنج**" زجاجتي الأملاح، فإنها سلطت الزجاجة المحتوية على أملاح النشادر على ورق الحائط لمدة دقيقة فيما أعتقد.. فقال السيد "**هنري**" معجبا:

- لكأنك كنت هناك يا آنسة "**ماربل**".. فقالت الآنسة "**ماربل**":

- إن ما يقلقني هو حكاية السيد "**بريتشارد**" المسكين، وتلك الفتاة الجميلة الآنسة "**جين إينستو**".. ربما أصبح كلاهما يشك في الآخر ويبتعد عنه.. والحياة قصيرة.. فرد عليها السيد "**هنري**" قائلا:

- لا داعي إلى القلق.. عندي معلومات حجزتها عنكم حتى الآن.. فقد قُبض على ممرضة بتهمة قتل مريضة عجوز لها.. وتمت الجريمة بوضع محلول (سيانيد البوتاسيوم) محل أملاح النشادر.. وهكذا كررت الممرضة "**كوبلنج**" العملية مرة ثانية.. ولم يعد السيد "**ريتشارد**" والآنسة "**جين إينستو**" يحتاجان إلى دليل آخر لإزالة شكوكهما بعد ذلك.. فهتفت "**ماربل**" قائلة:

- أليس هذا بديعًا؟ إنني لا أقصد الجريمة الجديدة بالتأكيد.. فهي جريمة محزنة، وتبين ما في النفس البشرية من قسوة، وإن السقوط مرة واحدة يؤدي إلى التمادي في الشر.. ولكن الجاني لا يمكن أن يفلت إلى الأبد من العقاب في النهاية..

قفاز الثعلب

أهم الشخصيات :

- السيدة "**بانتري**" : راوية القصة .
- السيد "**أمبروز بيرسي**" : المضيف . رجل ثري . يناهز الستين .
- "**سيلفيا كين**" : وصيفة السيد "**أمبروز**" الخاصة . حسناء شقراء تتسم بالغباء .
- "**مود واين**" : فتاة سمراء . كريهة متسلطة .
- السيد "**كورل**" : خبير المكتب والمخطوطات القديمة .
- السيد "**جيري لوريمر**" : جار السيد "**أمبروز**" .
- السيدة "**كاربنتر**" : سيدة متصابية . أرملة في أوائل الخمسين من عمرها .
- "**مارتيني أمبروز**" : ابن السيد "**أمبروز**" كان على خلاف مع والده .

قفاز الثعلب

ألح الضيوف على السيدة "**بانتري**" أن تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه الليلة لكي يتنافسوا في حل غوامضها.. وبعد تردد وتمنع راحت المضيفة تقول مستسلمة:

– كنا وقتها ضيوفا على السيد "**أمبروز بيرسي**" المقيم في "**كلوبنهام كورت**".. وذات يوم حدث أن اقتطعت من حديقة المنزل بطريق الخطإ كمية من نبات قفاز الثعلب مع تابل (المريمية)، وحُشيت بها البطة التي قدمت للعشاء، فأصيب الجميع بنوبة شديدة، وتوفيت بسببها فتاة مسكينة هي وصيفة السيد "**أمبروز**". وعندما توقفت السيدة "**بانتري**" قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" السابق:

– حسنا.. وماذا حدث بعد ذلك؟

– هذه هي كل القصة.. فقال السيد "**هنري**" معاتبا:

– لا يمكن أن تكون هي كل القصة، يا عزيزتي.. وإذا كنت بهذا تثيرين فضولنا فإنني أقبل التحدي، وأقترح أن نقوم نحن بتوجيه الأسئلة. ما رأيك أن تبدئي يا آنسة "**ماربل**"؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– أود أن أعرف شيئًا عن الطاهية.. لابد من أن تكون مخلوقة غبية جدًّا، أو عديمة الخبرة بالمرة.. فأجابت السيدة "**بانتري**":

– إنها كانت مثال الغباء فعلا.. وقد بكت كثيراً بعد الفاجعة، وقالت إن أوراق النبات قد اقتطفت من الحديقة، وقدمت إليها باعتبارها حشو البط، وما كان لها أن تعرف غير ذلك.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إنها ليست إذن من النوع الذي يفكر بنفسه.. وجاء دور المحتالة الحسناء "**جين**

هيلر" في توجيه الأسئلة، فقالت:

– هل يمكن أن نعرف أبطال الحادث حسب الظهور على المسرح، كما نقول نحن أهل الفن؟ فراحت السيدة "**بانتري**" تعدهم على أصابعها قائلة:

– هم السيد "**أمبروز بيرسي**" المضيف.. و"**سيلفيا كين**" وصيفته الخاصة التي توفيت في الحادث.. و"**مود واين**" وهي فتاة سمراء كريهة من نوع الفتيات اللاتي يجادلن بفرض أنفسهن على المجتمعات – والسيد "**كورل**" خبير المكتب والمخطوطات القديمة الذي جاء للمناقشة مع السيد "**أمبروز**" في هذه المسائل، و"**جيري لوريمر**" جار السيد "**أمبروز**".. والسيدة "**كاربنتر**" المتصابية.. فقال السيد "**هنري**":

– نريد بعد هذا صورة تفصيلية لكل واحد من هؤلاء.. تكلمي أولا عن السيد "**أمبروز**".

– كان يناهز الستين من عمره، ذا شخصية مرحة جذابة.. ولكنه كان معتل الصحة؛ إذ كان مصابًا بالضعف في القلب اضطره إلى تركيب مصعد في المنزل، وهذا ما جعله يبدو أكبر من سنه.. فقال السيد "**هنري**":

– والآن تكلمي عن الفتاة "**سيلفيا كين**".

– كانت فتاة جميلة وافرة الحسن، شقراء الشعر ناعمة البشرة.. ولكنها كانت أقرب إلى الغباء منها إلى الفطنة..

– والسيدة "**كاربنتر**" المتصابية؟

– كانت أرملة في أوائل الخمسين، مغرمة بمصاحبة الطبقة الأرستقراطية، ولكنها كانت خاوية الوفاض..

– والسيد "**كورل**"؟

– كان رجلا مسنا متحمسا إلى درجة الجنون فيما يختص بالمخطوطات والكتب

القديمة، خصوصا اللاتينية.. ولا أظن أن معرفة السيد "**أمبروز**" به كانت حميمة..

– و"**جيري لوريمر**" الجار؟

– كان شابًّا موفور الجاذبية.. وكان خطيب "**سيلفيا**"، وهذا ما جعل للمأساة طابعها المحزن الأليم. فقال السيد "**هنري**":

– وهل كانت خطبتهما منذ مدة..؟

– منذ سنة تقريبا.. وقد عارض السيد "**أمبروز**" الخطبة على أساس أن "**سيلفيا**" صغيرة السن.. ولكن بعد فوات السنة مال إلى الموافقة، وكان مقررا عقد الزواج بعد فترة قصيرة..

– وهل كان للخطيبة أية ثروة؟

– لم تكن تملك أكثر من إيراد يبلغ حوالي مائتي جنيه في السنة.. وعندئذ قال السيد "**هنري**":

– الدور الآن على الدكتور "**لويد**" في توجيه الأسئلة.. فقال الطبيب العجوز:

– إن اهتمامي يتركز في الناحية الطبية.. أود أن أعرف التقرير الطبي الذي صدر في أثناء التحقيق. فأجابت السيدة "**بانتري**":

– كل ما أتذكر أنه (تسمم الديجيتالين).. فأومأ الدكتور "**لويد**" قائلا:

– إن العنصر الفعال في نبات (قفاز الثعلب) – وهو الديجيتالين – يؤثر في القلب.. والواقع أنه عقار مفيد جداً في بعض حالات اضطرابات القلب.. وهذه قضية غريبة جداً في الواقع، وما كنت لأعتقد أن أكل أوراق نبات (قفاز الثعلب) يمكن أن تنتج منه إصابة مميتة.. إن الأفكار السائدة عن أكل أوراق وثمار نباتات سامة هي أفكار عن العنصر الأساسي فيها لابد من استخلاصه وتحضيره بمنتهى الدقة.. فقال "**هنري**":

– لنبدأ الآن تحقيق هذه الجريمة.. فانقضت "**جين هيلر**" الممثلة الحسناء قائلة:

– جريمة؟ فأجاب السيد "**هنري**" في وداعة:

– إنه لم يكن سوى حادث تكلفت السيدة "**بانتري**" عناء سرد القصة... في رأيي أنه حادث في الظاهر فقط.. ولكن يكمن وراء الحادث عنصر سر مبيَّت.. واعتقادي أن أوراق نبات الديجيتالين أو (قفاز الثعلب) هذه قد خلطت بتابل (المريمية) عمداً، وبعد معرفة ماذا ستكون نتيجتها.. وما دمنا نستبعد الطاهية المعروفة بغبائها، فإن السؤال هو: من الذي قطف تلك الأوراق وقدمها إلى المطبخ؟ فأجابت السيدة "**بانتري**":

– إن "**سيلفيا**" نفسها هي التي حملت الأوراق إلى المطبخ.. فقد كان من عملها اليومي أن تجمع (السلطات) وما يماثلها من الحديقة، وكانت تشترك معها في ذلك السيدة "**كاربنتر**" بحكم ضيافتها المستمرة في المنزل.. وكان في الحديقة مكان خاص لنبات (قفاز الثعلب) ونبات تابل (المريمية).. وهكذا فإن الخطأ كان مسألة طبيعية..

– ولكن هل اقتطفت "**سيلفيا**" بنفسها الأوراق؟

– هذا ما لم يعرفه أحد.. وإن كان هو المفروض. فقال السيد "**هنري**":

– إن الافتراض شيء خطير.. فقالت السيدة "**بانتري**":

– لكنني أؤكد أن السيدة "**كاربنتر**" لم تكن هي التي اقتطفت أوراق النبات.. فقد تصادف أن كانت تتمشى معي في الشرفة صباح ذلك اليوم، بعد أن فرغنا من تناول طعام الإفطار.. وقد نزلت "**سيلفيا**" إلى الحديقة وحدها، ولكنني رأيتها فيما بعد تسير مع "**مود واين**"، وقد تأبطت ذراعها.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إذن فقد كانت الاثنتان صديقتين حميمتين؟ وعادت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– وهل كانت "**مود واين**" ضيفة على المنزل منذ مدة؟ فأجابت السيدة "**بانتري**":

– منذ أسبوعين سابقين.. فقالت الآنسة "**ماربل**" مرة أخرى:

– يبدو من لهجتك أن هناك شيئا بشأن الفتاتين تحاولين كتمانه.. أليس كذلك يا سيد "**هنري**"؟ فقال مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق مؤمِّنا على كلامها:

– صدقت يا آنسة "**ماربل**".. والواجب أن تقولي يا سيدة "**بانتري**" كل ما تعرفينه دون أن تتحرجي من شيء. فراحت السيدة "**بانتري**" تقول:

– حسنا.. كانت المسألة هكذا.. حدث مساء الليلة نفسها التي وقعت فيها الفاجعة أنني خرجت أتمشي في الشرفة، وكانت نافذة غرفة الجلوس مفتوحة.. وحانت مني التفاتة إلى الداخل، فوقع نظري على "**جيري لوريمر**" يقبل "**مود واين**".. ولم أعرف وقتها بالتأكيد ما إذا كان هذا شيئا عارضًا، أو كان شيئا آخر.. إن الإنسان لا يستطيع الجزم في هذه الأمور.. ولكنني كنت أعرف أن السيد "**أمبروز**" لم يكن يحب "**جيري لوريمر**".. ولعل السبب أنه كان يعرف عنه هذه التصرفات.. إنما هناك شيء مؤكد، وهو أن تلك الفتاة "**مود واين**"، كانت مغرمة بـ"**جيري لوريمر**".. وأعتقد أيضًا أنهما كانا أليق ببعضهما من "**لوريمر**" و"**سيلفيا**". فقال السيد "**هنري**":

– أريد أن أوجه سؤالا سريعا قبل أن تسبقني الآنسة "**ماربل**".. أريد أن أعرف ما إذا كان "**جيري لوريمر**" بعد الفاجعة.. قد تزوج "**مود واين**". فأجابت السيدة "**بانتري**":

– نعم... إنه تزوجها فعلا، بعد ستة أشهر. فقال العقيد "**بانتري**" مداعبا زوجته:

– يا للمكر.. فكرنا كلنا عند بدء قصتك أنها أشبه بعظام مُشفَّاة.. والآن ترى العظام مكسوة باللحم. فقال السيد "**هنري**" معقبًا:

– امرأتان ورجل.. الثلاثي البشري الخالد.. فهل هذا هو الأساس الذي قامت

عليه قضيتنا؟ فبدأ دكتور "**لويد**" يقول:

– إنني فكرت في القضية.. قبل كل شيء.. هل أصبت أنت أيضا ياسيدة "**بانتري**" بنوبة المرض في تلك الليلة؟

– لست أنا فقط، بل زوجي "**آرثر**" أيضًا، وكل الضيوف..

– في رأيي أن من دبر هذا الحادث إما أنه فعل هذا عشوائيا معتمدا على الحظ، أو بعامل الاستهتار التام دون مبالاة بحياة الناس.. فإنني لا أكاد أتصور إنسانًا يتصدى عن عمد وتدبر لتسميم ثمانية أشخاص بهدف التخلص من واحد بينهم. فقالت "**جين**":

– أو لم يكن محتملا أن يسمم نفسه أيضًا في عداد الجميع؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– هل تغيَّب أحد عن العشاء تلك الليلة؟ فهزت السيدة "**بانتري**" رأسها قائلة:

– كان كل واحد موجوداً..

– فيما عدا السيد "**لوريمر**" يا عزيزتي.. فإنه لم يكن مقيما في المنزل مع الضيوف باعتباره جاراً للمضيف أليس كذلك؟ فقالت السيدة "**بانتري**":

– صحيح.. لكنه تناول العشاء مع الجميع.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– آه.. إن هذا من شأنه أن يوجد فارقًا كبيرا في القضية كلها.. وقطبت الآنسة "**ماربل**" وجهها مستاءة، وغمغمت قائلة:

– إنني كنت غبية.. غبية جداً في الواقع.. فقال السيد "**هنري**" مخاطبا الطبيب:

– أعترف بأن النقطة التي أثرتها يا دكتور تقلقني.. ما الذي كان يضمن أن الفتاة، والفتاة وحدها، يمكن أن تُقتل؟ فأجاب الدكتور "**لويد**":

– غير ممكن.. والواقع أن هذا يجرني إلى النقطة التي كنت أريد عرضها..

لنفرض أن الفتاة لم تكن هي الضحية المقصودة؟

- ماذا..؟

- في حالات التسمم الغذائي، النتيجة غير مؤكدة بالمرة.. نحن إزاء عدة أشخاص يشتركون في لون واحد من الطعام.. ماذا يحدث؟ واحد أو اثنان منهم يشعران بانحراف.. واثنان آخران يصابان بنوبة حادة.. ولا شيء مؤكد بعد ذلك.. لكن هناك حالات يتدخل فيها عامل آخر.. إن (الديجيتالين) عقار يؤثر تأثيرا مباشرا في القلب، لقد قلت لكم إنه يوصف طبيا في حالات معينة.. والآن هناك شخص واحد في ذلك البيت كان يشكو من مرض القلب.. فماذا لو أنه كان هو الضحية المختارة؟ إن ما لا يكون خطرا مميتا على الآخرين، يكون خطرا مميتا بالنسبة إليه.. وهذا هو، ما يتصوره القاتل منطقيا.. أما وإن النتيجة قد اختلفت عن هذا التقدير، فإن هذا يعدُّ برهانا على ما قلته لكم، وهو عدم إمكان التعويل على تأثير العقاقير في الكائنات البشرية.. فقال السيد "**هنري**":

- أنت تظن إذن أن السيد "**أمبروز**" كان هو الشخص المقصود؟

- نعم.. نعم.. وكانت وفاة الفتاة نتيجة خطإٍ.. فقالت "**جين هيلر**" الممثلة الحسناء:

- من ورث السيد "**أمبروز**" بعد وفاته الطبيعية؟ فقال السيد "**هنري**" معقبا على السؤال:

- سؤال وجيه جدًّا يا آنسة "**هيلر**".. إنه أول سؤال اعتدنا أن نسأله في أثناء عملي في البوليس.. أجابت الآنسة "**بانتري**" بتؤدة:

- كان للسيد "**أمبروز**" ابن تخاصم معه منذ سنوات.. ولم يكن في استطاعة السيد "**أمبروز**" حرمانه من الميراث، على الرغم من عقوقه وسوء خلقه.. وهكذا ورث ابنه "**مارتيني أمبروز**" الأملاك بالإضافة إلى ما فيه من سوء خلق.. ولكن

كانت هناك ممتلكات أخرى يستطيع السيد "**أمبروز**" التصرف فيها، وقد تركها لوصيفته "**سيلفيا**" .. وأنا أعرف هذه التفاصيل؛ لأن السيد "**أمبروز**" تُوفي بعد أقل من سنة بعد الأحداث التي ذكرتها لكم، ولم يحاول أن يعد وصية جديدة بعد وفاة "**سيلفيا**" .. وأعتقد أن نصيب الفتاة آل إلى الحكومة، أو إلى الابن باعتباره الوريث الوحيد.. فقال السيد "**هنري**" ساهما:

– إذن فإن النتيجة كانت لصالح ابن لم يكن موجودا والفتاة توفيت بدورها.. هذه نتيجة لا تشجع البحث في القضية.. آنسة "**ماربل**" .. أراك لا تنصتين.. أنت بعيدة عنا في واد آخر.. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إنني كنت أفكر في قصة السيد "**بادجر**" الصيدلي العجوز.. كانت عنده مشرفة منزل صغيرة السن، تعتبر في سن أولاده، بل أحفاده.. وكان لأهل بيته وأبناء وبنات إخوته وأخواته آمال كبيرة في ثروته.. وعندما توفي، ولعلكم لا تصدقون هذا، تبين أنه كان متزوجًا سرًا من المشرفة الفتية.. مدى سنتين.. نعم إن السيد "**بادجر**" كان فظًا من السوقة، ولكن السيد "**أمبروز**" كان شخصية ممتازة كما وصفته لنا السيدة "**بانتري**" .. ومع ذلك فإن الطباع البشرية هي هي في كل مكان..

ساد الصمت برهة.. وتطلع السيد "**هنري**" إلى الآنسة "**ماربل**" يتفرس فيها طويلا، ولكنها ردت على نظراته بابتسامة رقيقة ونظرات يشوبها الغموض.. وأخيرا قالت السيدة "**بانتري**" :

– والآن ما رأيكم في قصتي؟ ما هو حل هذا اللغز؟ تكلم أنت أولا يا سيد "**هنري**" فراح مدير البوليس السابق يقول:

– سأتكلم بطريقة تحليلية لابد منها؛ لأنه ليس هناك شيء قاطع في هذه القضية.. هناك أولا السيد "**أمبروز**" .. إنه لن يفيد حتما من موت وصيفته، ولهذا

فهو مستبعد كقاتل.. وكذلك السيد "**كورل**" خبير المخطوطات والكتب القديمة – لا دافع له إلى قتل الفتاة.. ولو افترضنا أن السيد "**أمبروز**" كان هو الضحية المقصودة؛ لاستيلائه مثلا على مخطوطات نادرة من السيد "**كورل**"، فإن هذا لا يمكن أن يكون دافعا إلى القتل بأية حال.. وهكذا نستبعد السيد "**كورل**" أيضا..

ننتقل إلى الآنسة "**مود واين**".. لا دافع لها لقتل السيد "**أمبروز**".. ولكنْ هناك دافع قوي لكي تُقتل "**سيلفيا**".. فقد كانت طامعة في خطيبها، وكانت تريده لنفسها، طبقا لما قالته السيدة "**بانتري**".. وكانت "**مود**" مع "**سيلفيا**" في الحديقة في صباح ذلك اليوم، وهكذا كانت أمامها فرصة لاقتطاف أوراق النبات.. نعم.. لا يمكننا.. استبعاد "**مود واين**" بسهولة..

نتكلم الآن عن "**لوريمر**" الشاب.. لقد كان له دافع إلى القتل في كلتا الحالتين.. إذا تخلص من خطيبته كان في استطاعته أن يتزوج الأخرى.. ومع ذلك يبدو أنها خطوة عنيفة، لأن فسخ الخطبة مسالة يسيرة هذه الأيام.. وإذا تُوفي السيد "**أمبروز**" أمكن الزواج بفتاة وارثة غنية، بدلاً من فتاة فقيرة..

وعن السيدة "**كاربنتر**"، أقول لكم إنني أرتاب في أمرها.. فإنني لا أرتاح إلى هذا الصنف المداهن من النساء.. ثم إن نقطة وجودها مع السيدة "**بانتري**" وقت اقتطاف النباتات ربما كانت خطوة مدبرة لإخفاء الحقيقة.. وإذا كان لابد من تلخيص الموقف في شخص واحد فإنني أحصر شكوكي.. في "**مود واين**"؛ لأن الأدلة ضدها أكثر من الأدلة ضد غيرها.. فقالت السيدة "**بانتري**" مشيرة إلى الطبيب:

– وأنت يا دكتور "**لويد**"؟ فأخذ الطبيب يقول:

– أظن أنك مخطئ يا سيد "**هنري**" في التمسك بالنظرية القائلة إن الفتاة كانت هي المقصودة بالقتل.. إنني مقتنع بأن القاتل.. كان ينوي التخلص من السيد

"**أمبروز**" ولا أظن أن "**لوريمر**" كانت لديه دراية كافية بالموقف... وإنني ميال إلى الاقتناع بأن السيدة "**كاربنتر**" هي الطرف الجاني.. فقد أقامت مع الأسرة مدة طويلة، وكانت تعرف كل شيء عن حالة السيد "**أمبروز**" الصحية وكان بإمكانها أن تدبر الأمور بسهولة، بحيث تقتطف "**سيلفيا**" تلك الأوراق من الحديقة (وقد فهمنا أنها كانت أقرب إلى الغباء)..

أما دافعها إلى القتل، فأعترف بأنني لم أفكر فيه... لكن ربما كان السيد "**أمبروز**" قد أعد وصية أوصى لها فيها بشيء، ثم غيَّرها... هذا هو أقصى ما عندي من حل للقضية... وعندما أشارت السيدة "**بانتري**" بإصبعها إلى الممثلة الحسناء "**جين هيلر**"، راحت هذه تقول:

– لا أعرف ماذا أقول... لماذا لا تكون الفتاة "**سيلفيا**" نفسها هي الفاعلة؟ فهي التي أخذت أوراق النبات إلى المطبخ.. وقد سمعنا أن السيد "**أمبروز**" كان يمانع في زواجها.. فإذا توفي نالت نصيبها من الميراث، وكان لها أن تتزوج في الحال دون عقبة... وكانت تعرف حالة السيد "**أمبروز**" الصحية مثل السيدة "**كاربنتر**" تماما.. وعندئذ استقر أصبع السيدة "**بانتري**" عند الآنسة "**ماربل**" ببطء قائلة:

– تكلمي يا أستاذة الجيل. فأخذت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– إن السيد "**هنري**" والدكتور "**لويد**"، قد شرحا القضية شرحا وافيًا في الواقع... وكان الدكتور "**لويد**" سديداً جدًّا فيما قاله.. إن الاثنين بحثا الموقف بما فيه الكفاية... وفقط لا أظن أن الدكتور "**لويد**" قدر تماما نقطة واحدة فيما ذكره... وهذه النقطة متعلقة بنوع المرض القلبي الذي كان يشكو منه السيد "**أمبروز**"... فهل كان بوسعه وهو لم يكن طبيبه الخاص، أن يحدد نوع هذا المرض القلبي؟ فقال الدكتور "**لويد**":

– لست أفهم قصدك تمامًا يا آنسة "**ماربل**"...

– إنك افترضت أن السيد "**أمبروز**" كان مصابا بنوع من مرض القلب يؤثر فيه (الديجيتالين) تأثيرا مضادا، أليس كذلك... لكن ليس هناك ما يثبت أن حالته كانت كذلك... فربما كانت بعكس هذا...

– بعكس هذا؟

– نعم... فقد قلت إن عقار (الديجيتالين) كثيرا ما يوصف في حالات اضطرابات القلب؟

– وحتي لو فرضنا ذلك يا آنسة "**ماربل**"... فإنني لم أفهم بعد إلى أين ينتهي بنا هذا الكلام..

– معناه أن عقار (الديجتيالين) كان في حيازة السيد "**أمبروز**" بصورة طبيعية دون أن يسأله أحد عن سبب وجوده.. إن ما أحاول أن أقوله هو هذا، وإن كان يؤسفني أنني لا أحسن التعبير لنفرض أنك أردت أن تسمم أي شخص بجرعة مميتة من (الديجيتالين)... الا تكون أبسط وأسرع طريقة هي أن تعمل على تسميم الجميع بوساطة الأوراق النباتية للديجيتالين؟ إنه لن يترتب على ذلك خطر مميت لأي شخص آخر بالتأكيد؛ لأن النتائج ليست مؤكدة كما قال الدكتور "**لويد**".. وفي هذه الحالة لن يسأل أحد عمّا إذا كانت الفتاة الضحية قد تناولت فعلا جرعة مميتة من خلاصة (الديجيتالين) أو شيء من هذا القبيل، ربما يكون قد دسها لها في كأس من كوكتيل أو فنجان قهوة، أو دعاها ببساطة إلى شربه، باعتباره دواء مقويا..

– هل تقصدين أن السيد "**أمبروز**" سمم وصيفته الخاصة الحسناء التي كان يحبها؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– هو هذا بالضبط... مثلما حدث في حالة السيد "**بادجر**" ومشرفة بيته الشابة.. لا تقولوا لي إنه من السخف أن يقع رجل في الستين في حب فتاة

العشرين.. إن هذا يحدث مثله كل يوم، وبوسعي أن أقول إن شيئا كهذا، في حالة رجل مثل السيد "أمبروز" الأرستقراطي المهذب، يمكن أن يحدث بصورة مضاعفة... إن هذه الأشياء تتحول إلى لون من الجنون والهوس في الواقع... إنه لم يطق فكرة زواجها... وقد بذل كل جهده لمنع هذا الزواج... ثم فشل... فاشتدت به الغيرة إلى الحد الذي عنده فضَّل قتل "سيلفيا" على أنه فكّر في هذا قبلها بمدة، فعمل على غرس بذور نبات (قفاز الثعلب) بنفسه، وعندما جاءت المناسبة. دبَّر أن تحملها الفتاة إلى المطبخ بنفسها... إن عملا كهذا شيء فظيع، ولكن الرجال في هذه السن يقدمون على أفعال غريبة إذا كانت المسألة متعلقة بفتاة في ربيع العمر... وعندئذ قال السيد "هنري":

– هل هذه هي الحقيقة يا سيدة "بانتري"..؟ فأومأت السيدة "بانتري" برأسها إيجابا قائلة:

– نعم.. والحقيقة أنني لم أكن أتصور أن يكون الأمر كذلك، وكنت أتصور أن المسألة ليست سوى حادث بالقضاء والقدر... ولكني بعد وفاة السيد "أمبروز" تلقيت رسالة كان قد أوصى بإرسالها إليَّ... وفي هذه الرسالة اعترف لي بالحقيقة. ولست أدري لماذا اختارني دون غيري لهذا الغرض، ولكن العلاقات بيننا كانت دائما طيبة.. وخيم صمت ثقيل شعرت فيه السيدة "بانتري"، وكأنها عرضة للانتقاد، فسارعت تقول:

– أنتم تظنون أنني خنت واجب الأمانة والثقة؟ ولكن ليس الأمر هكذا... إنني غيرت أسماء أبطال المأساة... وأصبحت كما يقولون في المجلات ومقدمات الكتب: "كافة الشخصيات في القصة من نسج الخيال".. ولذلك لن تعرفوا الشخصيات الحقيقية بحال من الأحوال!

عش الغرام

أهم الشخصيات :

- "**جين هيلر**" : ممثلة حسناء. راوية القصة.
- "**لزلي فوكنر**" : كاتب مسرحي شاب وسيم قليل الحظ.
- "**كلود ليسون**" : ممثل.
- "**ماري كير**" : ممثلة. زوجة "**كلود ليسون**" .
- "**هيرمان كوجان**" : رجل ثري. وهو يحب السيدة "**ماري كير**" .
- السيدة "**دوللي بانتري**" : صديقة "**جين هيلر**" .

عش الغرام

قالت "**جين هيلر**" الممثلة الفاتنة، وهي تبتسم تلك الابتسامة الآخاذة التي طالما استحوذت على المشاعر في مسارح "**لندن**" :

– حدثت هذه القصة الغريبة لصديقة لي هي ممثلة شهيرة في "**لندن**" ... فقد كانت ذات يوم تطوف بالأقاليم في رحلة فنية.. وبينما كانت تطوف استدعاها البوليس... وكان الاستدعاء خاصا بسرقة وقعت في فيلاّ مجاورة للشاطئ، قبض فيها على شاب روى للبوليس قصة غريبة... وهكذا استدعوها... وبعد أن تبين البوليس أن هناك التباسا اعتذروا إليها، وإن عرضوا عليها على الرغم من ذلك أن تتعرف إلى الشاب المقبوض عليه، فلم تمتنع..

كان شابًّا وسيما أحمر الشعر. وقد فغر فاه عند رؤيتي... آه... أعني عند رؤية صديقتي الممثلة! وتوقفت "**جين هيلر**" برهة وقد تورد محياها... فقد كانت زلة اللسان دليلا على أنها هي بطلة القصة، وإن كان أعضاء الندوة لم يفهموا ذلك من أول الأمر، وبعد أن زال عنها الخجل والارتباك مضت تروي ما حدث لها بعد مواجهتها بالشاب، قائلة :

– كان هذا الشاب يدعى "**لزلي فوكنر**"، وكان قد كتب مسرحيات كثيرة لم تُقبل واحدة منها، وقال إنه أرسل إليَّ مسرحية جديدة، وطلب مني قراءتها... والواقع أنني لم أعرف بأمر هذه المسرحية، إذ إنني اتلقى مسرحيات كثيرة، ولكنني لا أقرأ إلا القليل منها.. والظاهر أن السيد "**فوكنر**" تلقى رسالة مني – وإن تبين أن الرسالة لم تكن مني في الحقيقة – جاء فيها أنني قرأت المسرحية وأُعجبت بها وأنني أود أن يقابلني للمناقشة في موضوعها على أن يكون حضوره إلى فيلاّ "**ريفربيري**" .. وهكذا كان سرور "**فوكنر**" لا حد له. عند حضوره إلى الفيلاّ

استقبلته الوصيفة، ولما سألها عما إذا كانت الآنسة "**جين هيلر**" موجودة ردت بالإيجاب، وقالت إنها تنتظر حضوره، وأدخلته إلى غرفة الجلوس... وبعد قليل ظهرت له امرأة قدر أنها أنا بالتأكيد؛ إذ كانت تشبهني في الطول وشقرة الشعر وزرقة العينين.. وجلس مع المرأة مرحبة به، وقالت إنها أُعجبت بالمسرحية وتود أن تمثلها... وفي أثناء الحديث جيء بالشراب، وتناول السيد "**فوكنر**" كأسا كالمعتاد... وبعد ذلك لم يتذكر شيئا...

وعندما استيقظ أو أفاق وجد نفسه ملقى على جانب الطريق في حالة إعياء شديد... وقد قال بعد ذلك إنه لو كان متمالكا حواسه وقتها لعاد إلى الفيلاّ لمعرفة حقيقة ما حدث، ولكن كان منطمس الوعي، وسار متخبطا لا يعي ما حوله.. إلى أن قُبض عليه البوليس بتهمة سرقة الفيلاّ... وهذه الفيلاّ ليست لي بالتأكيد بل لرجل غني من "**لندن**" استأجرها لسيدة.. والسيدة زوجة ممثل معروف. وكانت هي نفسها ممثلة، وأرجوكم إعفائي من ذكر الأسماء... وتورد وجه "**جين هيلر**" مرة ثانية.. فسارع السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق لنجدتها قائلا، وهو يضحك ضحكة العارف الخبير:

- إذن سوف نسمي الرجل الفنيّ باسم السيد "**هيرمان كوجان**". والممثل باسم "**كلود ليسون**"، والممثلة باسم "**ماري كير**"... ما رأيك يا عزيزتي؟ فأجابت "**جين هيلر**" باسمة:

- أنت بارع جدًّا في اختيار الأسماء... لا بأس.. وأعود إلى القصة فأقول إن تلك الفيلاّ كانت معدة لكي يقضي فيها السيد "**هيرمان**" عطلة نهاية الأسبوع بصحبة المرأة.. وبالتأكيد لم تكن زوجته تعرف هذا...

وكان السيد "**هيرمان**" قد أهدى المرأة مجموعة من الحلي الثمينة، من بينها أحجار زمرد نادرة... وكانت المجوهرات محفوظة في علبة موضوعة في الفيلاّ...

وقد تلقى البوليس مكالمة تليفونية من سيدة قالت إنها الآنسة "**مارى كير**"، وأخبرت البوليس بأن سرقة وقعت في الفيلاّ، ووصفت لهم شابًّا أحمر الشعر زار الفيلاّ في الصباح... وقالت إن وصيفتها تشككت في أمر الشاب، ولم تسمح له بالدخول، وبعد فترة شاهدته يخرج عن طريق إحدى نوافذ الفيلاّ.. وكانت الأوصاف التي ذكرتها عن الشاب دقيقة إلى الحد الذي عنده تمكّن البوليس من ضبطه بعد ساعة واحدة... وعندئذ حكى لهم الشاب قصته، وأطلعهم على الخطاب المرسل مني... وهكذا استدعاني البوليس، وعندما رآني الشاب قال ما ذكرته لهم، وهو أنني لست السيدة التي استقبلته في الفيلاّ.. فقال الدكتور "**لويد**" عضو الندوة:

– قصة غريبة في الواقع... هل كان السيد "**فوكنر**" يعرف الآنسة "**كير**" تلك؟

– لا... لم يكن يعرفها... لكنني لم أخبركم بعد بأغرب جانب في القصة.. فقد ذهب البوليس إلى الفيلاّ بالتأكيد، ووجد كل شيء كما وصفته المحادثة التليفونية... الأدراج مفتوحة والمجوهرات مفقودة، ولكن الفيلاّ كلها خالية من أي شخص.. وقد مضت ساعات قبل عودة "**ماري كير**"، التي قررت للبوليس أنها لم تتصل بهم تليفونيا بحال، وأن هذه هي أول مرة تسمع فيها بذلك.. والظاهر أنها تلقت برقية في صباح ذلك اليوم من مدير أحد المسارح يعرض عليها دورا مهمًّا، ويحدد لها موعداً، وهكذا سارعت بالذهاب إلى "**لندن**" لإتمام المقابلة في الموعد المحدد.. وعندما وصلت وجدت أن المسألة كانت خدعة، وأنه لم ترسل إليها أية برقية... فعقب السيد "**هنري**" مدير البوليس الأسبق قائلا:

– حيلة معروفة لاستدراجها بعيداً عن الفيلاّ... وماذا عن الخدم؟ حدث الشيء نفسه بالنسبة إلى الوصيفة الوحيدة الموجودة في الفيلاّ... فقد تلقت مكالمة تليفونية من الآنسة "**كير**" – في الظاهر – طلبت فيها منها موافاتها بحقيبة يد

معينة في غرفة نومها على أن تستقل أول قطار إلى "لندن"، وقد فعلت الوصيفة هذا وأغلقت الفيلاّ، ولكنها عندما وصلت إلى النادي الذي حددته لها الآنسة "كير" في المكالمة التليفونية طال انتظارها دون جدوى... فقال السيد "هنري":

– بدأنا نفهم... هكذا تركت الفيلاّ خالية، وكان الدخول إليها من إحدى النوافذ مسألة سهلة... لكنني لا أرى حتى الآن أين مكان السيد "فوكنر" الشاب في هذا... ومن الذي اتصل بالبوليس تليفونيًا إذا لم تكن هي الآنسة "كير"؟

– هذا هو ما لم يوفق أحد إلى معرفته.. فقال السيد "هنري":

– غريب.. وهل صحيح أن ما ذكره الشاب هو ما قاله عن نفسه؟

– نعم... إن هذه الناحية من القضية سليمة.. فقد تلقى فعلا الرسالة المنسوبة إليَّ، ولم تكن مشابهة لخطي بأي حال، ولكن بالتأكيد لم يكن يعرف... فقال السيد "هنري":

– لنلخص الموقف إذن بوضوح... السيدة والوصيفة تُستدرجان بعيداً عن الفيلاّ.. وشاب يُستدعى إليها برسالة مزورة، لكن تأكيداً لها، فإنك كنت ذلك الأسبوع في "ريفربيري" لتمثيل إحدى مسرحياتك... ثم يجري تخدير الشاب، ويستدعيه البوليس وتوجه تهمة إلى الشاب ذاته.. وقد حدثت سرقة واقعية في الفيلاّ اختفت فيها المجوهرات... ألم يُعثر عليها بعد؟

– قط... والواقع أن السيد "هيرمان" حاول جهده التستر على الحادث وكتمانه... لكن لم يوفق، وأعتقد أن زوجته شرعت في إجراءات الطلاق منه بعد هذه الفضيحة...

– وماذا تم بشأن السيد "فوكنر"؟

– لقد أطلق البوليس سراحه في النهاية؛ إذ لم يجدوا ضده أدلة كافية... الا ترونْ معي أن القصة في غاية الغرابة؟ ساد الصمت والتأمل برهة بين الضيوف..

وأخيرا قال الدكتور "**لويد**" :

– القضية في غاية الغرابة فعلا . . . لكن إذا سلمنا بأن قصة الشاب حقيقية، فلماذا عمدت تلك المرأة المجهولة التي انتحلت شخصية الآنسة "**جين هيلر**" إلى استدراج هذا الشاب المجهول وتوريطه في القضية؟ ما الذي يدعوها إلى افتعال هذه الكوميديا المدبرة؟ فتولت السيدة "**بانتري**" الرد قائلة :

– قولي لي أولا يا "**جين**" .. هل حدثت في أي وقت مواجهة بين الشاب "**فوكنر**" وبين "**ماري كير**"؟ فقطبت "**جين**" حاجبيها مفكرة برهة، ثم أجابت :

– لا أعرف هذا تماما .. فراحت السيدة "**بانتري**" تقول :

– لأنه إذا لم تكن هذه المواجهة حدثت، فإن حل القضية سهل ميسور . . . بل إنني متأكدة أن نظريتي صحيحة . . . فإنه ليس أسهل من الادعاء بطلب الحضور إلى "**لندن**" . . . من السهل على سيدة الفيلاّ الاتصال تليفونيا من أية محطة سكة حديد بالوصيفة، وعند تنفيذ الوصيفة للطلب تعود صاحبة الفيلاّ إليها، حيث يحضر الشاب بناء على موعد، وتدس له المخدر وترتب حدوث السرقة، ثم تبلغ البوليس تليفونيا، مع ذكر أوصاف السارق كبش الفداء، وعلى أثر المكالمة تعود صاحبة الفيلاّ إلى "**لندن**" مرة ثانية . . . وبعد ذلك تكون العودة إلى الضاحية بأول قطار، وتمثيل دور السيدة البريئة التي انتظرتها مفاجأة السرقة . . .

– لكن لماذا تسرق هي شخصيًّا مجوهراتها؟ فأجابت السيدة "**بانتري**" :

– كلهن يفعلن ذلك . . . ربما طلبت مالا عاجلا من السيد "**هيرمان**" ورفض، فدبرت حادث سرقة المجوهرات على أن تبيعها فيما بعد . . . أو ربما كانت تواجه عملية ابتزاز مال من شخص هدد بإبلاغ زوجها أو زوجة السيد "**هيرمان**" عن العلاقة بينهما . . . بل أستطيع إذا شئتم أن أذكر لكم عشرات الأسباب التي يمكن أن تلجأ فيها المرأة إلى ذلك . . . والمهم أنها تضرب عصفورين بحجر واحد . . .

تسرق المجوهرات، ثم تنال مجموعة أخرى من السيد "**هيرمان**" تعويضا عن المجوهرات الضائعة... فقال العقيد "**بانتري**":

– هذه براعة منك في الاستنتاج يا "**دوللي**"... أما أنا فإنني أشك في مستأجر الفيلا ذاته، السيد "**هيرمان**"... من السهل أن يرسل البرقية لاستدراج السيدة بعيداً، ثم يقوم بباقي المهمة دون صعوبة بمساعدة صديقة جديدة.. فالتفتت "**جين هيلر**" إلى الآنسة "**ماربل**" وكانت صامتة مقطبة وقالت لها:

– ما رأيك يا آنسة "**ماربل**"؟

– لا أدري في الواقع ماذا أقول، وإن كانت هناك احتمالات متعددة تطرح نفسها للفكر... مسألة الوصيفة مثلا... إن فيلاً مثل هذه لا يمكن أن تعمل فيها فتاة مستقيمة، ولنا إذن أن نفترض أن هذه الوصيفة لم تكن من النوع المؤتمن... ونتيجة لذلك لا يبعد أنها كانت متحالفة مع اللصوص، فتركت لهم الفيلاّ مفتوحة وذهبت إلى "**لندن**" منتحلة حكاية المكالمة التليفونية لدفع الشُّبهة عن نفسها... وفي رأيي أن هذا هو الاحتمال المرجح... ومع ذلك، فإن الملابسات تُشعر بأن الحادث لم يكن حادث لصوص عاديين. وتوقفت الآنسة "**ماربل**" برهة، ثم استطردت تقول بلهجة الحالمة:

– أكاد أشعر بأنه حادث فيه جانب كبير من الطابع الشخصي... ماذا لو تصورنا أن الحادث وليد حزازات شخصية؟ كأن تكون هناك ممثلة لم يعاملها شاب معاملة لائقة. فدبرت هذا الحادث للإيقاع به؟ هذا ما يبدو لي في الوقت الحالي، وإن لم تكن النتيجة مرضية في نظري تماماً... فالتفتت "**جين**" إلى الدكتور "**لويد**" قائلة:

– وأنت يا دكتور... ما رأيك؟ فأجاب الطبيب بعد تأمل:

– عندي نظرية تقول إن الزوجة ربما كانت وراء هذا الحادث... أعني زوجة السيد "**هيرمان**"... وإذا كنت لا أستطيع أن أبين بالتفصيل الأسباب التي أستند

إليها في هذه الفكرة إلا أنكم تقدرون ما يمكن أن تندفع إليه الزوجة المخدوعة في مثل هذه الحالات... وهنا هتفت الآنسة "**ماربل**" بانفعال:

– مرحى يا دكتور "**لويد**"... هذه براعة منك في الاستنتاج... فقال السيد "**هنري**" وقد لمعت عيناه:

– معنى هذا أنك تؤيدين هذه النظرية يا آنسة "**ماربل**"؟ ولكن الآنسة "**ماربل**" هزت رأسها قائلة:

– لا... ولابد لي من أن أعترف بأنني في حيرة من هذه القضية... وكل ما يمكنني أن أقول الآن هو إن النساء لابد لهن من التكاتف معا ومساندة بعضهن البعض... وهذا هو المغزى الذي يمكن أن يستخلصه الإنسان من قصة الآنسة "**هيلر**"... فقال السيد "**هنري**" برصانة:

– أعترف بأن هذا الجانب الأدبي في القضية قد فاتني... وربما أعرف المقصود منه عندما تكشف لنا الآنسة "**هيلر**" سر القضية... إنني أعلن عجزنا جميعا عن تقديم الحل المنشود، بعد أن أعلنت الآنسة "**ماربل**" عجزها... فقالت "**جين هيلر**" ساهمة:

– أنتم إذن تعترفون بعجزكم؟ هذا شيء طريف جداً... ومالت الممثلة الفاتنة في مقعدها إلى الخلف، وراحت تصقل أظافرها وهي شاردة الفكر... فقالت لها السيدة "**بانتري**":

– تكلمي يا "**جين**" إذن... قولي لنا الآن، ما هو حل هذه القضية الغامضة التي أعجزتنا جميعا؟ فحدقت إليها "**جين**" قائلة:

– الحل؟ ليست عندي أدنى فكرة...

– ماذا تقولين؟!

– كنت دائما أعتقد أنكم جميعا عباقرة في التفكير والاستنتاج، وأن أحدكم

لابد من أن يتمكن من عرض الحل المطلوب... في هذه المرة تضايق الجميع... وقد عبر السيد "**هنري**" عن شعورهم قائلا:

– تعنين أن لغز القضية لم يكتشف قط؟ فأجابت "**جين هيلر**" متضررة:

– نعم.... وهذا هو السبب في أنه خطر لي أن أحدكم ربما أمكنه أن يوفق إلى حل اللغز... فقالت السيدة "**بانتري**":

– أنت فتاة عنيدة يا "**جين**"... على كل حال أنا واثقة بأن نظريتي هي الصحيحة... وإذا أمكنك أن تذكري لنا الأسماء الحقيقية لأبطال القصة استطعت أن أزيد نظريتي تأكيداً... ولكن "**جين**" هزت رأسها، فخفت الآنسة "**ماربل**" إلى نجدتها قائلة:

– لا يا عزيزتي... إن الآنسة "**جين**" لا يمكن أن تفعل شيئًا كهذا... لابد يا عزيزتي "**جين**" من أن القصة أحزنتك جداً. فأجابت "**جين**" بلهجة صدق:

– أبدا... أظن أنها أمتعتني في الواقع... فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا بأس... لابد من أن أعود الآن إلى البيت، فإن الوقت متأخر.. لكننا أمضينا سهرة ممتعة... وأظن أن قصة الآنسة "**هيلر**" تستحق الجائزة لغموضها على هذه الصورة غير العادية... ألا تتفقين معي؟ فأجابت "**جين هيلر**":

– إني آسفة لأني أتعبتكم.. أقصد لجهلي نهاية القضية.. وخف الدكتور "لويد" إلى مساعدة الآنسة "**ماربل**" في ارتداء معطفها وتوصيلها إلى مسكنها.. وحيتهم الآنسة "**ماربل**" متمنية لكل منهم نومًا هنيئا.. ثم اقتربت من "جين هيلر" ومالت نحوها وهمست في أذنها كلاما.. فلم تتمالك الممثلة الحسناء أن انتفضت قائلة:

– أوه! مما دفع الجميع إلى الالتفات نحوها.. ولم تلبث الآنسة "**ماربل**" أن أومأت برأسها باسمة، ثم انصرفت في النهاية و "**جين هيلر**" تخرج في أثرها..

وقالت لها السيدة "**بانتري**" :

– هل تذهبين إلى فراشك يا "**جين**" ؟ ماذا جرى لك؟ أراك تحدقين، وكأنك رأيت شيئًا. فأفاقت "**جين**" لنفسها متنهدة، ثم حيَّت الرجلين الباقيين بابتسامتها الجذابة،وتبعت مضيفتها إلى الدور العلوي حيث رافقتها السيدة "**بانتري**" إلى غرفة نومها.. وجلست "**جين**" على حافة الفراش ساهمة، ثم قالت:

– هل تظنين أن هناك أناسا كثيرين مثل هذه العجوز الآنسة "**ماربل**" ؟ إنني لا أدري في الواقع ماذا أفعل.. وتنهدت عميقا.. فسألتها السيدة "**بانتري**" :

– ماذا أصابك يا "**جين**" ؟

– إنني قلقة مشغولة البال..

– لأي شيء؟ فأجابت "**جين هيلر**" برصانة:

– "**دوللي**" .. هل تعرفين ما همست به تلك السيدة العجوز الغريبة في أذني قبل انصرافها الآن؟

– لا.. ماذا قالت؟

– قالت لي: لو كنت مكانك يا عزيزتي لما فعلت شيئا كهذا.. لا تضعي نفسك بأي حال تحت رحمة امرأة أخرى، حتى لو تصورت أنها صديقتك وقتئذ.. هل تعرفين يا "**دوللي**" أن ما قالته هذه العجوز صحيح إلى أبعد حد؟

– ربما كانت الحكمة في ذاتها صادقة.. لكنني لا أدرك كيف كان تطبيقها عمليًّا..

– أظن أنه لا يمكن فعلا الثقة بامرأة.. لأنني عندئذ سأكون تحت رحمتها.. وهذه مسألة فاتني التفكير فيها..

– عن أية امرأة تتكلمين؟

– "**نيتا جرين**" .. ممثلة الدور الثاني معي..

– وما الذي تعرفه الآنسة "**ماربل**" عن ممثلتك المساعدة؟

– أعتقد أنها تفطنت إلى الحقيقة، وإن كنت لا ادري كيف فعلت هذا؟

– "**جين**".. هلا كاشفتِ بما ترمين إليه من وراء هذا الكلام؟

– أعني القصة التي قلتها لكم.. أواه يا "**دوللي**".. إنها خاصة بتلك المرأة.. المرأة التي اختطفت "**كلود**" مني. أومأت السيدة "**بانتري**" برأسها، وقد عادت بها الذاكرة سراعا إلى زواج "**جين**" الفاشل من "**كلود ريفربيري**"، والممثل.. واستطردت "**جين**" تقول:

– إنه تزوجها. وكان بوسعي أن أقول له كيف سيكون هذا الزواج.. إن "**كلود**" لا يعرف أنها على علاقة غرامية مع السيد "**جوزيف سالمون**"، وهما يقضيان عطلات نهاية الأسبوع في الفيلاّ التي حدثتكم عنها.. إنني أردت أن افضحها.. أردت أن يعرف كل إنسان من أي طينة خُلقت هذه المرأة.. ووقوع مثل هذه السرقة، لابد من أن يكشف العلاقة، ويفتضح كل شيء.. فلم تتمالك السيدة "**بانتري**" أن شهقت قائلة:

– "**جين**".. هل اخترعت هذه القصة التي قلتها لنا؟! فأومأت "**جين**" إيجابا قائلة:

– ومن أجل هذا اخترت مسرحية "**سميث**" التي أقوم فيها بدور الوصيفة كما تعرفين. وعند استدعائي أمام البوليس لم يكن هناك أسهل من أن أقول إني كنت اتمرن على دوري مع مساعدتي في الفندق.. وفي الفيلاّ يمكن أن أفتح الباب للقادم وأقدم له الشراب، في حين تدعي هي أنها السيدة.. ولن يراها بعد ذلك بالتأكيد. وهكذا لن يكون هناك أي خوف من التعرف إليها.. ثم دبرنا أن نجده بعد أن يفقد الوعي في الطريق، ونسلب علبة المجوهرات، ونتصل بالبوليس تليفونيا، ثم نعود إلى الفندق. وبهذا ينشر الحادث في الصحف، ويعرف "**كلود**" حقيقة المرأة التي تزوجها.

جلست السيدة "**بانتري**" على حافة الفراش، وهي تضرب كفا على كف:

– كل هذا وأنت تحكين لنا قصة مختلقة! يا لك من مخادعة يا "**جين**" ! فقالت "**جين هيلر**" بهدوء:

– إنني ممثلة قديرة كما تعرفين ويعرف الناس كلهم. لا أظن أن سري قد افتضح أمامكم جميعًا.. فغمغمت السيدة "**بانتري**" قائلة:

– إلا الآنسة "**ماربل**".. التي قالت إنها تشتم الطابع الشخصي.. لكن هل تقدرين أيتها الطفلة أن السرقة هي السرقة؟ فأجابت "**جين**":

– على كل حال لم يهتد أحدكم إلى الحقيقة إلا الآنسة "**ماربل**".. هل تظنين أن هناك كثيرين منها؟ فأجابت السيدة "**بانتري**":

– بصراحة، لا أظن.. فتنهدت "**جين**" قائلة:

– ومع ذلك من الأفضل ألا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر.. فإنني سأكون تحت رحمة "**نيتا**" بالتأكيد.. لأنها قد تنقلب عليَّ، أو تهددني لابتزاز المال، أو أي شيء من هذا القبيل.. إنها حقيقة ساعدتني على تدبير تفاصيل المكيدة، وعاهدتني على الإخلاص والكتمان.. لكن الإنسان لا يستطيع أن يطمئن إلى ثبات المرأة.. نعم.. أظن أن الآنسة "**ماربل**" على حق.. والأفضل ألا أخاطر بهذه العملية..

– لكنك يا عزيزتي خاطرت فعلا! فتحت "**جين**" عينيها الزرقاوين على سعتهما قائلة:

– آه.. كلا.. ألم تفهمي بعد؟ إن هذه القصة لم تحدث بعد.. إنني كنت أجربها فقط.. فقالت السيدة "**بانتري**" ممتعضة:

– هل تعنين أنه مشروع قصة مستقبلية، لا قصة وقعت فعلا؟

– كان في نيتي أن أنفذها في شهر أيلول (سبتمبر) القادم.. ولا أدري الآن ماذا

أفعل.. فقالت السيدة "**بانتري**" بلهجة الحنق:

– وقد استطاعت الآنسة "**ماربل**" أن تخمن الحقيقة، ولم تخبرنا بها..

– أظن أنها لهذا السبب قالت ما قالته عن وجوب تكاتف النساء بعضهن مع بعض.. إنها لم تشأ أن تفضحني أمام الرجال من الضيوف.. وهذا كرم منها في الواقع.. فقالت السيدة "**بانتري**":

– لا بأس يا "**جين**".. لابد من أن تنفضي يديك من عملية كهذه بصفة نهائية.. فغمغمت الآنسة "**هيلر**" قائلة:

– سأعمل بنصيحتك يا عزيزتي.. فإن الآنسة "**ماربل**" ستكون بعد الآن بالمرصاد..

فاجعة في المصحة

أهم الشخصيات :

- الآنسة "**جين ماربل**" : راوية القصة.
- السيد "**ساندرز**" : شاب مرح.
- السيدة "**جلاديس ساندرز**" : الزوجة الشابة.
- السيدة "**كاربنتر**" : صديقة الآنسة "**ماربل**" .
- "**ماري**" : وصيفة تعمل في المصحة.
- السيدة "**ترولوب**" : صديقة الآنسة "**ماربل**" .

فاجعة في المصحة

ألح السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلنديارد**" الأسبق على الآنسة "**ماربل**" أن تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه السهرة، وأيده باقي أعضاء الندوة.. فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تتنهد امتثالا:

– لا بأس. لقد تذكرت الآن حادثًا، بل فاجعة، قُدر لي أن أكون طرفا فيها، وربما تجدون حديثي عنها غير منمّق ولا متسلسل؛ لأنني أشط أحيانا في السرد والسياق، ولهذا أرجو المعذرة سلفًا..

كان مسرح الفاجعة في مصحة "**كيستون**" للمياه المعدنية حيث أمضيت هناك فترة للاستجمام.. والتقيت هناك – ممّن التقيت بهم – بالزوجين الشابين "**ساندرز**" و"**جلاديس**". وكان الشاب وسيما مرحا إلى أبعد الحدود، ولم يكن هناك من هو أشد منه تفانيًا في حب زوجته.. ولكنني شعرت من أول نظرة بأنه ينوي التخلص منها.. فقال السيد "**هنري**"، وقد مال إلى الأمام باهتمام:

– وعلى أي أساس بنيت هذا التقدير؟

– على الإحساس الغريزي الذي لا يخطئ فحسب.. سمّه الخبرة.. سمه المعرفة.. سمه ما شئت.. لكنه هكذا كان الشأن معي دائما.. أذكر بهذه المناسبة حكاية سيدة أعرفها كانت تزمع السفر إلى "**سويسرا**" مع زوجها لتسلق الجبال.. وقد حذرتها من مغبة رحلة كهذه، ولكنها لم تستمع إليّ.. وكانت النتيجة سقوطها ووفاتها، واقتران زوجها بامرأة أخري.. وأمثال هذه الحوادث يعرفها الإنسان بالإحساس، لكن لا يمكن إقامة الدليل المادي عليها..

وفي قصة "**ساندرز**" وزوجته تصادف أن ركبنا ثلاثتنا الترام المكوّن من طابقين، وعند محطة النزول نهضنا معًا، وفجأة اختل توازن السيد "**ساندرز**" وسقط بكل

ثقله على زوجته، وكان من أثر ذلك أن وقعت تهوي إلى الطابق الأرضي، ولولا أن السائق كان قوي البنية وتلقفها لكانت نهايتها في هذه السقطة..

– لكن مما لا شك فيه أن هذا ليس سوى حادث..

– بالتأكيد هو حادث. فليس هناك ما يبدو أكثر من حادث عرضي.. لكن إذا عرفتم أن السيد "**ساندرز**" كان يعمل على البواخر التجارية ويمكنه الاحتفاظ بتوازنه، وليس هو الذي يفقد التوازن على سطح ترام علوي! إذا استطاعت عجوز مثلي أن تحتفظ بتوازنها.. فلا تجادلوا أيها الأصدقاء في قيمة (الإحساس) و(الغريزة). فقال السيد "**هنري**" :

– سنسلم لك يا آنسة "**ماربل**" بأنك كونت رأيك في طبيعة السيد "**ساندرز**" ونواياه حيال زوجته من أول نظرة، وماذا بعد؟

– ما الذي كنت أستطيع أن أفعله في هذه الظروف للحيلولة دون قتل الزوجة؟ لم يكن بوسعي الالتجاء إلى البوليس بغير أدلة مادية.. ولم تكن ثمة فائدة من تحذير الزوجة؛ لأن "**جلاديس**" كانت مفتونة بزوجها.. وهكذا لم يكن أمامي سوى أن أستجمع عنهما كل ما يمكن من المعلومات.. وفي جلساتنا المشتركة للسمر في الفندق عرفت من "**جلاديس**" التي كانت مولعة بالثرثرة أنهما تزوجا منذ عهد غير بعيد، وكان زوجها ينتظر ميراثا قريبًا، وفي خلال ذلك كانت حالتهما المالية محدودة؛ إذ كانا يعيشان على إيراد الزوجة القليل الناتج من رأس المال الأصلي الذي لم تكن تريد المساس به.. ولكنهما حررا عقد الزواج بوصيتين أوصى كل منهما فيها بأن يؤول إلى الطرف الباقي على قيد الحياة ما يملكه الطرف الآخر – بعد أن يرث "**ساندرز**" ميراثه المنتظر بالتأكيد.. وفي انتظار هذا الأمل كانا يعيشان في ضيق، حتى أنهما استأجرا غرفة في الطابق العلوي للفندق بين غرف الخدم، مما يعرض حياتهما للخطر في حالة حدوث حريق –وإن كان هناك

سلم نجاة من الحرائق خارج نافذتهما مباشرة.. وعندما عرفت أن النافذة تطل على الشرفة حذرتها من الخروج إلى هذه الشرفة.. قلت لها إنني رأيت حلما يبرز هذه النصيحة التي أسديتها إليها.. وكانت الفتاة سريعة التصديق، ولكن هذا لم يمنع من أن تنقل النصيحة إلى زوجها، حتى أنني فاجأته، وهو ينظر إليّ فيما بعد نظرات غريبة، خصوصا بعد أن تذكر أنني كنت معهما في الترام العلوي..

كنت في أشد القلق على حياة هذه الزوجة الساذجة المنكوبة، دون أن أهتديَ إلى وسيلة لإنقاذها منه، حتى فكرت أخيرا في خطة جريئة لاستدراجه وإيقاعه في الشرك، وعندما يحاول الاعتداء على حياتها أكشف النقاب عنه، وأفضح أمره أمام زوجته، مهما تكن الصدمة التي أسببها لها.. فقال الدكتور "**لويد**" أحد أفراد الندوة:

– وما هي الخطة البارعة التي تفتق عنها تفكيرك يا آنسة "**ماربل**"؟ فأجابت قائلة:

– إنني أعددت هذه الخطة فعلا.. ولكن الرجل كان أدهى وأسرع مني.. كان يعرف أنني أشك في احتمال وقوع (حادث)، ولهذا جعلها (جريمة قتل) سرت شهقة يسيرة بين أعضاء الندوة.. فاطبقت الآنسة "**ماربل**" شفتيها بصرامة قائلة:

– يؤسفني أني لم أعرض الصورة أمامكم بوضوح كاف.. ولذلك لابد من أن أحكيَ لكم بالضبط ما حدث بالترتيب.. إنني في الواقع أشعر بشدة المرارة كلما تذكرت تلك الظروف، ويخيل إليّ أحيانا أنه كان الواجب أن أحول دون ما وقع.. ولكن يد القضاء كانت غالبة ولا حيلة أمامها.. وعلى أي حال فإنني قمت بالواجب في كل خطوة..

كنا وقتها في الفترة التي تسبق عيد الميلاد بأربعة أيام.. وكنت جالسة في غرفة الجلوس بالفندق مع الآنسة "**ترولوب**" والسيدة "**كاربنتر**" العجوز نتجاذب

الحديث في الظروف السيئة التي اقترنت بوفاة بواب المصحة ثم إحدى الوصيفات في أيام معدودة، الأول نتيجة نزلة شعبية والتهاب رئوي حاد أودى بحياته، والثانية بسبب خرّاج في الإصبع، وإذا بالسيدة "**كاربنتر**" تقول بلهجة أقرب إلى النعيق:

– سجلي كلامي.. ليست هذه هي النهاية.. فالمثل يقول: (لا اثنان دون ثلاثة).. إني وجدت صحة هذا المثل في مناسبات كثيرة.. ولذلك سوف تحدث وفاة ثالثة. ولن يطول انتظارنا.. (لا اثنان دون ثلاثة). وفيما هي تقول هذه الكلمات المستطيلة إذ رفعت رأسي فجأة عن إبرة التطريز، فلاح لي السيد "**ساندرز**" واقفا في المدخل، وكان منهمكا في التفكير، إلي الحد الذي عنده لم يفطن إلى تلك النظرة المليئة بالغدر التي لاحت برهة في عينيه.. على أنه لم يلبث أن تقدم إلى داخل الغرفة، وهو يبتسم ابتسامته العذبة، وقال لنا:

– إني ذاهب لشراء لوازم عيد الميلاد، فهل من خدمة أؤديها يا سيداتي؟ سأذهب إلى سوق "**كيستون**" حالا.. وتوقف دقائق يضحك ويتكلم ثم انصرف خارجًا.. وفجأة تملكني القلق، فقلت على الفور:

– أين السيدة "**جلاديس**"؟

– إنها ذهبت إلى أسرة "**موريتمر**" أصدقائها للعب الورق..

وإذا كان هذا قد أراح بالي مؤقتا إلا أنني لبثت قلقة لا أدري ما أفعل، وبعد حوالي نصف ساعة صعدت إلى غرفتي.. ولكنني قابلت في طريقي على الدرج الدكتور "**كولز**" نازلا، فطلبت منه أن يجيء معي إلى الغرفة لاستشارته في داء الروماتيزم الذي أعانيه.. وفي خلال هذه المقابلة أشار إلى وفاة الوصيفة "**ماري**" المسكينة، وقال إن مدير الفندق لا يريد انتشار الخبر، ورجاني أن أراعي ذلك.. وبالتأكيد لم أقل للطبيب الطيب القلب إن هذا الموضوع كان مدار الحديث مدى ساعة كاملة منذ أن لفظت الفتاة المسكينة آخر أنفاسها؛ لأن مثل هذه الأمور

لا تبقى طي الكتمان.. لكن الدكتور "**كولز**" كان يصدق كل شيء، لهذا لم يزعجني كلامه بقدر ما أزعجني ما قاله لي بعد ذلك. فقد أخبرني وهو يتأهب للانصراف أن السيد "**ساندرز**" طلب منه أن يفحص زوجته، لأنها تعاني في المدة الأخيرة اضطرابات في المعدة.. إلخ.

وكان مبعث انزعاجي هو أن "**جلاديس ساندرز**" نفسها ذكرت لي هذا اليوم بالذات أنها تتمتع بمعدة تهضم كل شيء وأنها تحمد الله على ذلك. هكذا عادت إليَّ شكوكي في زوجها بصورة مضاعفة. إن "**ساندرز**" يدبر شيئا.. ويمهد الطريق بهذا الكلام.. ما الذي يدبر؟

وعندما خرجت من غرفتي بعد ذلك كان الذي قابلته هو "**ساندرز**" نفسه نازلا على السلالم من فوق.. وكان مرتديا ملابس الخروج، وقد سألني مرة أخرى ما إذا كنت أحتاج إلى شراء شيء من البلدة.. فلم أجد إلا أن أرد على مجاملته بالشكر.. وذهبت من فوري إلى قاعة الجلوس وطلبت الشاي.. وكانت الساعة وقتها الخامسة والنصف بالضبط. وهو ما أتذكره جيدا..

والآن يهمني جداً أن أسجل بدقة كل ما حدث بعد ذلك.. فقد كنت مازلت في قاعة الجلوس في الساعة السابعة إلا الربع عندما جاء السيد "**ساندرز**". وكان معه رجلان، وبدا أن ثلاثتهم في حالة انتعاش من أثر الشرب، وما لبث "**ساندرز**" أن ترك صديقيه وتقدم مني مباشرة حيث كنت جالسة مع السيدة "**ترولوب**"، وقال إنه يود أن يعرف رأينا في هدية لعيد الميلاد يقدمها لزوجته، وكانت حقيبة يد للسهرة.. وقد قال لنا:

– الحقيقة يا سيداتي أني من رجال البحر، ولا أعرف شيئا عن هذه المسائل.. إنهم أرسلوا إليّ ثلاث حقائب لأختار واحدة منها، وأريد رأي أهل الخبرة.وبالتأكيد أبدينا استعدادنا لتقديم هذه الخدمة الإنسانية، فرجانا أن نصعد

معه إلى غرفته، لأن زوجته قد تعود من الخارج في أية لحظة إذا هو أحضر لنا الحقائب من الغرفة. وهكذا صعدنا معه إلى غرفته.. ولن أنسى ماعشت ما حدث بعد ذلك.. لقد فتح السيد "**ساندرز**" باب غرفة النوم وأضاء النور.. ولست أدري من منا شاهد ما شاهدناه قبل غيره.. كانت السيدة "**ساندرز**" ملقاة على الأرض، على وجهها.. ميتة..

أسرعت إليها قبل غيري.. وجثوْت بجانبها، وتناولت يدها وتحسست النبض.. لكن بلا فائدة، فإن الذراع نفسه كان بارداً ومتيبسا.. وكان بجانب رأسها جورب مملوء بالرمل وهو الأداة التي تلقت بها الضربة القاضية ووقفت السيدة "**ترولوب**" المسكينة تئن قرب الباب ممسكة برأسها. أما "**ساندرز**" فقد أرسل صيحة مدوية، وهو يردد "زوجتي.. زوجتي" ثم اندفع نحوها.. فمنعته من لمسها؛ إذ كنت متأكدة وقتها أنه هو الفاعل، وربما كان هناك شيء يريد أخذه أو إخفاءه. قلت له وقتها:

– لا يجب لمس أي شيء يا سيد "**ساندرز**" اسمعي يا سيدة "**ترولوب**".. انزلي واطلبي المدير.. ولزمت مكاني جاثيةً قرب الجثة.. فقد صممت ألا أدع "**ساندرز**" وحده معها. ومع ذلك رأيتني مضطرة إلى الاعتراف بأنه لو كان هذا الرجل (يمثل) فإن تمثيله كان متقنا رائعًا.. فقد بدا مشدوها، متحيرا، مسلوب القلب والعقل معًا.. وجاء المدير على الأثر.. وبعد أن فتش الغرفة على عجل أخرجنا جميعا، وأغلق الباب بالمفتاح، واحتفظ به معه.. ثم ذهب واتصل بالبوليس تليفونيا.. وخيل إلينا أنه مر دهر قبل وصول البوليس (وقد علمنا فيما بعد أن الخط كان به عطب)، فاضطر المدير إلى إرسال مندوب إلى مركز البوليس.. وفي خلال ذلك صدَّعت السيدة "**كاربنتر**" رؤوسنا بنبوءتها المشؤومة عن (لا اثنان دون ثلاثة) التي تحققت بمثل تلك السرعة.. أما "**ساندرز**" فقد سمعت أنه راح يتجول في

الساحة الخارجية وهو ممسك برأسه، يئن ويتوجع، ويبدي كل مظاهر الحزن والتفجع.. وجاء البوليس في النهاية.. وقد صعدوا إلى الغرفة مع المدير، كما صعد "**ساندرز**" أيضًا، ثم أرسلوا يستدعونني.. فصعدت إليهم.. ورأيت مفتش البوليس جالسا إلى خوان يكتب.. وكان رجلا بادي الذكاء، وقد ابتدرني قائلا:

– آنسة "**جين ماربل**"؟

– نعم..

– فهمت يا سيدتي أنك كنت حاضرة عندما اكتشفت جثة المتوفاة؟ فأجبت بالإيجاب، ووضحت ما شاهدته بهدوء.. وأحسب أن المفتش ارتاح لهدوئي وأسلوبي في الإجابة، بعد أن عانى الكثير في أثناء استجواب "**ساندرز**" والسيدة "**ترولوب**" التي كانت في حالة يرثى لها.. وعندما فرغت من بياناتي، قال لي المفتش:

– شكرا لك يا سيدتي.. والآن أرجو منك أن تنظري إلى الجثة مرة ثانية.. هل وضعها هذا هو الوضع الذي كانت عليه عندما دخلت إلى الغرفة؟ ألم يحركها أحد بأي طريقة؟ فشرحت له أنني منعت السيد "**ساندرز**" من ذلك، فأومأ المفتش تقديرا قائلا:

– إن هذا السيد يبدو في حالة حزن شديد.. فرددت عليه بقولي:

– يبدو هكذا.. نعم.. فرمقني المفتش بنظرة حادة، ولكنه قال:

– إذن يمكننا أن نقرر أن الجثة الآن على الحالة التي كانت عليها عند اكتشافها؟ فقلت له:

– نعم.. فيما عدا القبعة.. فتطلع إليّ المفتش بنظرة حادة قائلا:

– ماذا تقصدين بكلمة (القبعة)؟ فقلت له:

– إن القبعة كانت على رأس "**جلاديس**" التعسة في حين أنها الآن ملقاة

بجانبها.. وكنت أظن أن البوليس هو الذي فعل هذا.. ولكن المفتش نفى ذلك نفيا قاطعا. وقال إنه لم يجر حتى الآن لمس وتحريك أي شيء.. وما لبث أن وقف وجعل ينظر إلى الجثة الممددة مقطبا مفكرا.. وكانت "**جلاديس**" مرتدية ملابس الخروج.. أما القبعة فكانت ملقاة قرب الرأس.. وبعد أن طال وقوف المفتش في مكانه مقطبا مفكرا، قال لي وقد خطرت له فكرة:

– هل يمكنك يا سيدتي أن تتذكري ما إذا كان هناك قرط في الأذنين، أو إذا كانت المتوفاة تضع قرطا في العادة؟ ومن حسن الحظ أنني دقيقة الملاحظة.. وقد تذكرت الآن أني لمحت بريق لآلئ أسفل حافة القبعة، وإن كنت لم أُلقِ بالا إلى هذا بصفة خاصة وقتها.. ولما أجبت بالإيجاب على الشطر الأول للسؤال قال المفتش:

– إذن فإن هذا يحسم الأمر.. إن علبة مجوهرات السيدة تعرضت للسرقة، وإن فهمت أنها لم تكن تملك شيئًا يعتد بقيمته، وسرقت الخواتم من أصابعها ولابد من أن القاتل نسي القرط، فعاد لأخذه بعد اكتشاف الجريمة.. لابد من أنه مجرم ثابت الأعصاب أو ربما كان مختبئا هنا في الغرفة.. طول الوقت ولكنني نفيت هذه الفكرة، وقلت للمفتش إنني نظرت وقتها تحت الفراش، وفتح المدير دولاب الملابس.. ولا يوجد مكان غيرهما يمكن أن يختبئ فيه، الدولاب كان مغلقا، ولكن فراغه المحدود تشغله الأرفف، ولا يتسع للاختباء فيه.. فأومأ المفتش مؤمِّنا على كلامي قائلا:

– يؤخذ بكلامك يا سيدتي.. وفي هذه الحالة لابد كما قلت من أن يكون القاتل قد عاد إلى هنا.. إنه مجرم ثابت الأعصاب.

– لكن المدير أغلق الباب وأخذ المفتاح!

– ولو.. هناك شرفة وسلم الحريق.. وعن طريقهما جاء اللص.. من المؤكد أنكم فاجأتموه وهو يعمل، فانسل من النافذة، وعندما خرجتم عاد. فقلت للمفتش:

– هل أنت متأكد أنه حدثت سرقة؟ فاجاب بجفاء:

– حسنا. هذا ما يبدو، أليس كذلك؟ لكن شيئا في نبراته جعلني أرتاح.. فقد شعرت بأنه لا يأخذ دور "**ساندرز**" كزوج ثاكل متوجع مأخذ الجد.. والحقيقة أنني كنت مقتنعة بأن ذلك الرجل "**ساندرز**" سعى إلى مصرع زوجته حتى أصبح هذا الاقتناع بمثابة الفكرة المتسلطة المستحوذة.. ومع ذلك، فإن ما يحدث في هذا العالم الغريب هو عكس ما يتوقع الإنسان ويحسب.. كنت واثقة بإدانته.. وأظن أن هذه الفكرة أعمت حواسي.. ولذلك جاءت النتيجة بمثابة صدمة لي.. فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك، أن السيد "**ساندرز**" لا يمكن أن يكون هو مرتكب الجريمة.. وهنا شهقت السيدة "**بانتري**"... فابتسمت الآنسة "**ماربل**" واستطردت تقول:

– أعرف يا عزيزتي أن هذا ما لم تكونوا جميعا تتوقعونه عندما بدأت هذه القصة.. لكن الحقائق هي الحقائق... وإذا ثبت للإنسان خطوة فيعلن الاعتراف بالحقيقة والمحاولة من جديد.. والآن تريدون معرفة الحقائق التي أشرت إليها... لقد أمضت السيدة "**ساندرز**" فترة ما بعد الظهر تلعب الورق عند أسرة "**مورتيمر**"، وانصرفت من عندهم حوالي الساعة السادسة والربع.. والمسافة من بيتهم إلى الفندق يقطعها السائر في حوالي ربع ساعة... إذن فلابد من أنها وصلت حوالي السادسة والنصف... ولم يشهد أحد برؤيتها تدخل إلى الفندق، إذن فلابد من أنها دخلت من الباب الجانبي وصعدت مسرعة إلى غرفتها، وهناك غيرت ملابسها.. فقد وُجد الفستان البني الذي ارتدته للخروج معلقا في الدولاب، ويظهر أنها كانت تستعد للخروج مرة ثانية، عندما أصيبت بتلك الضربة القاتلة من كيس الرمل، وهو سلاح فعال فيبدو من هذا أن مهاجميها كانوا مختبئين في الغرفة، ويحتمل أنهم كانوا في إحدى خانات دولاب الملابس الكبير التي لم

تفتحها... وفيما يختص بتحركات السيد "**ساندرز**" فإنه خرج كما قلت حوالي الساعة الخامسة والنصف أو بعد ذلك بقليل... وبعد أن قام ببعض المشتريات، خرج حوالي الساعة السادسة إلى (فندق العين الساخنة) حيث التقى بصديقين له، وهما نفسهما اللذان عاد بصحبتهما إلى فندقنا فيما بعد... وقد لعبوا (البلياردو) وتناولوا الشراب بكثرة كما فهمت، وكانا فعلا ملازميْن له طول الوقت منذ الساعة السادسة وما بعدها... وقد رافقاه إلى فندقنا، ولم يتركهما إلا عندما جاءني وأنا جالسة مع السيدة "**ترولوب**" كما قلت لكم من قبل... وكان ذلك حوالي الساعة السابعة إلا الربع – وهو الوقت الذي لابد من أن زوجته كانت فيه ميتة فعلا... وهناك مسألة ظهرت فيما بعد.. إذ يبدو أنه بينما كانت السيدة "**ساندرز**" تلعب الورق عند أسرة "**مورتيمر**"، طلبها من يدعى السيد "**ليتلويرت**" للتحدث بالتليفون... وقد لوحظ بعد المكالمة أنها منفعلة ومسرورة من شيء ما، ثم انصرفت من عند الأسرة قبل الموعد المقدر لانصرافها...

وعندما سُئل السيد "**ساندرز**" عمّا إذا كان يعرف شخصًا باسم "**ليتلويرت**" نفى هذا بتاتا... وكان ذلك أيضا هو الانطباع الذي بدا في مسلك السيدة "**ساندرز**" عقب المكالمة وإن عادت منها مبتسمة موردة... ومن هذا يبدو أن المتكلم لم يذكر اسمه الحقيقي، وتلك ظاهرة مثيرة للشك في مجرى الأحداث... وعلى أي حال فهذا هو الموقف بالنسبة إلى القضية الغامضة.. فهل ما حدث هو واقعة السرقة التي بدت غير محتملة، أو النظرية القائلة إن السيدة "**ساندرز**" كانت تستعد للخروج لمقابلة شخص معين؟ هل جاء إليها ذلك الشخص عن طريق سلم الحريق؟ وهل حدثت مشادة بينهما؟ هل هاجمها غدرا؟ توقفت الآنسة "**ماربل**" عن الكلام... فقال السيد "**هنري**" مدير البوليس الأسبق:

– حسنا.. ما هو الجواب؟

– ترى، هل فكر أحدكم في الجواب؟ فقالت السيدة "**بانتري**" :

– من المؤسف أن "**ساندرز**" توفرت له هذه الأدلة لتغطية تحركاته وقت الجريمة.. لكن طالما قد اقتنعت بها فقد انتهت المعضلة. فقالت الآنسة "**جين هيلر**" الممثلة الفاتنة:

– لماذا كانت خانة القبعات في دولاب الملابس مغلقة؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**" وقد تهلل محياها:

– ما أبرعك في هذا السؤال يا عزيزتي... هو السؤال الذي وجهته إلى نفسي، وإن كان التفسير غاية في البساطة.. كان في تلك الخانة زوج شبشب مطرز وبعض مناديل للجيب كانت الزوجة المنكودة تطرزها لزوجها لمناسبة عيد الميلاد... ولهذا السبب أغلقت الخانة بالمفتاح، الذي وُجد في حقيبة يدها.. فقالت "**جين هيلر**" :

– إذن فليست هذه النقطة مهمة في النهاية.. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– بل هي أهم نقطة في الموضوع .. النقطة التي أفسدت على القاتل خطته.. حملق الجميع إلى وجه السيدة العجوز، فمضت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– إنني لم أفطن إلى هذه النقطة مدى يومين كاملين... وكنت خلال ذلك أفكر وأقدح زناد الفكر.. ثم فجاة اتضح لي كل شيء.. فذهبت إلى المفتش وطلبت منه أن يجرب شيئًا ففعل ما طلبت.

– وما الذي طلبت منه أن يجربه؟

– طلبت منه أن يطابق تلك القبعة على رأس القتيلة المنكودة.. وبالتأكيد لم يستطع.. فإن القبعة لم تنطبق على الرأس.. لأنها لم تكن قبعتها.. فحدقت إليها السيدة "**بانتري**" قائلة:

– لكن القبعة كانت على رأسها في البداية.

– لم تكن على رأسها... وتوقفت الآنسة "**ماربل**" برهة حتى تستعيد تأثير

كلماتها في النفوس، ثم استطردت تقول:

– إننا سلمنا جميعا بأن الجثة التي وجدناها كانت جثة "**جلاديس**" الزوجة المسكينة.. لكننا لم ننظر قط إلى وجهها.. فقد كانت منكفئة على وجهها، وكانت القبعة تخفي كل شيء..

– لكنها ماتت قتلا؟

– نعم.. لكن فيما بعد.. في اللحظة التي كنا فيها نبلغ البوليس تليفونيا، كانت "**جلاديس ساندرز**" على قيد الحياة.

– تقصدين أنها كانت امرأة أخرى تتظاهر بأنها هي "**جلاديس**".. لكنكم عندما لمستم الجثة.. فقالت الآنسة "**ماربل**" برصانة:

– كانت الجثة جثة امرأة ميتة لا شك في ذلك.. فقال العقيد "**بانتري**":

– يا للعجب! لكن لا يمكن أن توجد الجثث يمينا ويساراً تحت الطلب.. وماذا فعلوا بالجثة الأولى فيما بعد؟ فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– إنه أعاد الجثة الأولى إلى مكانها.. لقد كانت فكرة شيطانية في الواقع.. وكان حديثنا في غرفة الجلوس هو الذي أوحى إليه بالفكرة.. فكرة استخدام جثة "**ماري**" الوصيفة المسكينة التي توفيت منذ فترة.. تذكروا أن غرفة "**ساندرز**" كانت بين غرف الخدم في الدور العلوي.. وكانت غرفة "**ماري**" الوصيفة بعد غرفتهما بغرفتين.. وكان المعروف أن (الحنوطي) ورجاله لن يحضروا لنقل جثتها قبل حلول الظلام. فاطمأن "**ساندرز**" إلى هذا، وحمل جثة "**ماري**" في الشرفة المستطيلة المشتركة (والظلام يسود في الخامسة). وألبسها ملابس زوجته ومعطفها الأحمر الكبير.. وعندئذ وجد خانة القبعات مغلقة.. ولم يكن أمامه سوى شيء واحد يفعله، فجاء بإحدى قبعات الوصيفة المذكورة.. وما كان لأحد أن يلاحظ هذا.. ثم وضع كيس الرمل بجانب الجثة.. وخرج بعد ذلك لإثبات تحركاته ووجوده

بعيداً عن مكان الجريمة..

لقد اتصل بزوجته تليفونيا، منتحلا اسم "**ليتلويرت**".. ولست أعرف ماقاله لها.. إنها كانت امرأة سليمة النية تصدق ما يقال لها كما ذكرت لكم من قبل. وقد طلب منها أن تنصرف من لعب الورق مبكرا وألا تعود إلى الفندق، واتفق معها أن تقابله قرب سلم الحريق عند ساعة محددة.. ولعله أخبرها بأنه جاء لها بمفاجأة تسرها.. وهو يعود إلى الفندق مع صديقيه، ويرتب أن يكون اكتشاف الجريمة بحضوري أنا والسيدة "**ترولوب**".. بل إنه يتظاهر بانه يريد تقليب الجثة في مكانها، فأمنعه أنا من ذلك.. ثم يجري استدعاء البوليس، ويخرج هو متصنعا الحزن والتفجع..

إن أحدا لم يسأله إثبات تحركاته (بعد) الجريمة.. وهكذا فهو يقابل زوجته، ويصعد معها في سلم الحريق، ويدخلان غرفتهما.. ولا يبعد أنه أخبرها سلفا عن وجود جثة في الغرفة منتحلا قصة ما، وعندما تنحني فوقها لكي تنظر يتناول كيس الرمل ويضربها الضربة القاتلة.. ثم يسرع بنزع الفستان ويعلقه، ويلبسها ملابس الجثة الأخرى.. لكنه وجد القبعة لاتنطبق.. لأن شعر "**ماري**" مقصوص، في حين أن شعر "**جلاديس**" غزير معقود فوق الرأس مثل كرة.. وهكذا يضطر إلى ترك القبعة بجانب الجثة مؤملا الا يلاحظ أحد هذه المسألة وبعد ذلك يحمل جثة "**ماري**" الوصيفة عائداً بها إلى غرفتها، حيث ردها إلى مكانها كما كانت. وعندئذ قال الدكتور "**لويد**":

– هذا شيء لا يصدق.. إنه قام بمخاطرة كبيرة.. وكان يمكن أن يسبقه البوليس ويفاجئه.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– تذكرون أن خط التليفون كان معطوبا، ولاشك في أن العطب كان من تدبيره؛ إذ لم يكن يحتمل أن يدع البوليس يحضر سريعا.. وعندما وصل رجال البوليس

أمضوْا بعض الوقت في مكتب مدير الفندق قبل الصعود إلى غرفة النوم.. وكانت هذه أضعف نقطة في الجريمة، بحيث لا يلاحظ أحد الفرق بين جثة توفيت منذ ساعتين وجثة توفيت منذ نصف ساعة فقط.. ولكنه اعتمد على أن الذين يكتشفون الجريمة لأول مرة لن يكونوا من الخبراء بمثل هذه المواقف... فأومأ الدكتور "**لويد**" قائلا:

– إن الجريمة يمكن أن يفترض أنها ارتُكبت حوالي السابعة إلا الربع أو قرب ذلك.. أما الواقع فإنها ارتُكبت في الساعة السابعة أو بعدها بدقائق.. وعندما يقوم طبيب البوليس بفحص الجثة يكون ذلك حوالي الساعة السابعة والنصف.. وعند ذلك لا يمكن الجزم بشيء، فقالت الآنسة "**ماربل**":

– كنت أنا التي يجب أن تعرف هذا.. فإنني تحسست يد الوصيفة المسكينة وكانت باردة كالثلج.. ومع ذلك فبعد فترة قصيرة تكلم مفتش البوليس، وكأن الجريمة لابد من أنها ارتُكبت قبيل وصولنا.. ولم يفطن وقتها إلى ذلك كله.. فقال السيد "**هنري**":

– أعتقد أنك فطنت إلى الكثير يا آنسة "**ماربل**".. إن هذه القضية حدثت قبل وجودي في الخدمة، ولا أذكر أنني سمعت عنها... ما الذي حدث بعد ذلك؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بإيجاز:

– إن "**ساندرز**" أُعدم شنقا.. وهو يستحق هذا جزاء وفاقا.. والواقع أنني لم أندم قط على دوري في تقديمه للعدالة والقصاص..

تمت بعون الله